الإهـــداء

يا من خلقتني فأحسنت خلقي وعلمتني فنفعت إليك الهدي

شيئا من جزيل عطائك فاجعله لقلبي ضياء ولبصري جلاء ولأسقامي

دواء واكتبه في ميزان الحسنات

إلى من علمتني أبجديات الحياة والمعرفة وشمعتي التي تضيء لي السبيل

والشراع الذي يشق لي الأجواء بعد أن كنت منكبا أمي الغالية

حفظها الله.

إلى أغلى ما لدي في الوجود وسندي في الحياة أبي العزيز .

إلى اللذين كانوا شجرة الأخوة التي قطفت منها ثمار الحب الخالص أخوتي

الى صديقتي التي شاركتني في هذا العمل فاطنة ماحي والى توأم روحي

نسرين قيدوم.

إلى كل من جمعتني بهم صلة المحبة والوفاء وعرفوا معناها بمعنى

الكلمة

إلى كل من أحبهم في الله وأحبوني فيه اهديهم شكري

إلى من وسعهم قلبي وسكنهم قلبي وهوت لهم نفسي.....

فـاطـــمـة.

الإهـــداء

لك الحمد ربي على عظيم فضلك وكثير عطائك.

إنه لا يسعني في هذه اللحظات التي لعلني لا املك أغلى منها أن اهدي ثمرة هذا العمل المتواضع إلى :

الذي يخفق له قلبي باستمرار ، ضياء قلبي ونور بصري : محمد صلى الله عليه وسلم" .

فضاء المحبة ونكر الحنان ، ريحانة الدنيا وبهجتها : أمي الغالية حفظها الله .

الذي علمني أن الحياة كفاح ونضال وصبر : أبي العزيز حفظه الله.

الأعمدة التي أظل أرتكز عليها للصمود : إخوتي وأخواتي ، وزوج اختي والى روح جدتي رحمها الله. الى خطيبي رشيد و عائلته.

إلى كل صديقاتي اللواتي جمعتني بهم الحياة خاصة : نور الهدى ، فاطمة ، دليلة ، نسرين ، شريفة .

، والى صديقتي التي شاركتني في هذا العمل ، فاطمة قيبوب.

الى كل من ساعدني في انجاز هذا العمل من اساتذة ومسيرين .

الى من وسعهم قلبي ولم تسعهم ورقتي.

إلى طلبة التاريخ الذين جمعتني بهم الدراسة .

فاطنة

شـــكـــر وعـــرفـــان

الحمد لله حمدا كثيرا الحمد لله شكرا جزيلا الحمد لك خلقتنا وبين مخلوقاتك زرعتنا ، الحمد لك بالعقل والنطق ميزتنا الحمد لك عدد خلقك ومداد كلماتك أعنتنا وبالعلم زودتنا . . .يقول الحبيب صلى الله عليه وسلم « من لم يشكر الناس لم يشكر الله ».

كما ي يفوتنا أن نتقدم بأسمى معاني التقدير والاحترام والعرفان إلى أستاذنا القدير

" قفاف عبد الرحمان " المشرف على عملنا هذا والذي لم يبخل علينا بالنصح والإرشاد والتوجيه فما يسعنا إلا أن نتضرع إلى المولى عز وجل أن يديمه شمعة تحترق لتضيء لنا نحن أبناء الوطن الدرب نحو السمو بأمتنا الجزائر إلى أعلى المراتب وأرقاها ،

و إلى كل من كانت له بصمة في هذا العمل من أساتذة وعمال المكتبة.

خاصة :محمود روينبي وعيسى قاوي الذي ساهما في انجاز هذه المذكرة

فاطنة +فاطمة

Bonnie's Garden
© Bonnie Zupancic

فاطمة ≠ فاطنة تنفاخ الراس

البيبلوغرافيا

I - المصادر

1 - **القران الكريم**

2 - إبن حمادوش عبد الرزاق ، **لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**، تح: أبو القاسم سعد الله ،عالم المعرفة، الجزائر 2011.

3 - ابن عبد الكريم محمد ، **حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.

4 - الاغواطي الحاج بن الدين ، **رحلة الاغواطي في شمال افريقية والسودان و الدرعية** ،تر : وليام هودسون قنصل امريكا بالجزائر والمراسل الاجنبي للجمعية الملكية الاسوية،طبع مؤسسة الترجمة الشرقية ،لندن،1830 .

5 - الأمير محمد، **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر** ، ط 2، تر: ممدوح حقبي، دار النهضة العربية، بيروت، 1964.

6 - بفايفر سمون ، **مذكرات ولمحة تاريخية عن الجزائر** ، تر:ابو العيد دودو شركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1974.

7 - بن ميمون محمد الجزائري ، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تح: محمد بن عبد الكريم، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

8 - التلمساني احمد بن محمد المقري ، **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب** ، تح حسان عباس تج 4،دار صادر بيروت 1998.

9 - التلمساني أحمد بن هطال ، **رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى جنوب الجزائري** ، ط 1، مطبعة عالم الكتاب القاهرة، 1969.

10 -التلمساني محمد ابن عبد الرحمان ، **الزهرة النائرة لما جرى في الجزائر حين اغارت عليها جند الكفرة** ، مجلة التاريخ وحضارة المغرب العدد3، جويلية 1967.

11 -الحفناوي أبي القاسم محمد ، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج 2، تح: خير الدين شترة، دار كرادة، الجزائر، 2013

12 -خوجة حمدان بن عثمان ، **إتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس عن الوباء** ، تق:محمد عبد الكريم، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ، الجزائر، 1968 .

13 -خوجة حمدان بن عثمان ، **المرآة**، تر: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة، الجزائر، 2006.

14 -دودو أبو العيد ، **الجزائر في مؤلفات الرحالين 1830-1855**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989

15 -الراشدي أحمد بن سحنون ، **الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني** ، تح :المهدي البوعبدلي، ط 1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

16 -الزبيري أحمد بن العربي ، **مذكرات أحمد باي، وحمدان خوجة وبوضربقة** شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973

17 -الزهار أحمد الشريف ، **مذكرات نقيب الإشراف** ، تر : أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970.

18 -الزياني محمد بن يوسف ، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران** ، تر : المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978..

19 -ستيفنس جيمس ولصن ، **الأسرى الأمريكان في الجزائر (1785/1797)**م، تر: على تابليت، منشورات ثالة، الجزائر ،2007.

20 -سنبسر وليام ، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تر: عبد القدر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1980.

21 -شالر وليام ، **مذكرات وليام شالر** ، تر :إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

22 -عبد القادر مسلم ، **خاتمة أنيس الغريب والمسافر تاريخ بايات وهران المتأخرة** ، تح: رابح بونار، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.

23 -عبد القادر نور الدين ، **صفحات من التاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء التركي** ، نشر كلية الآداب الجزائرية ،الجزائر 1965 .

24 -العنتري صالح محمد ، **مجاعات قسنطينة**، تر: رابح بونار، ش ركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1974.

25 -العنتري محمد صالح ، **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة وإستلائهم على أوطانهم أو تاريخ قسنطينة**، تر: يحي بوعزيز، ط 2، دار البصائر، الجزائر، 2009.

26 -الفكون محمد بن عبد الكريم ، **منشور الهداية في كشف في حال من أدعى العلم والولاية** ، تح :أبو القاسم سعد الله، ط1، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1987.

27 -كاثكارت، **مذكرات أسير الداي كاتكارت**، تر: العربي إسماعيل ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، 1990 ،ص08

28 -المبارك الحاج أحمد ، **تاريخ حاضرة قسنطينة** ، تر: نور الدين عبد القادر، المطبعة الرسمية، منشورات المدرسة العملية للدراسات العربية، الجزائر، 1952.

29 -مالستان فون ، **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، تر: أبو العيد دودو ،ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

30 -مجهول، **تاريخ بايات قسنطينة**، تق: حساني مختار، منشورات، دحلب، الجزائر، 1999.

31 -مجهول، **غزوات عروج وخير الدين**، تر: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934.

32 -المدني احمد توفيق ،**محمد عثمان باشا، داي الجزائر 1794/1799**، دار البصائر، الجزائر، 1972.

33 -المزاري بن عودة ، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا أواخر القرن 19م**، تر: يحي بوعزيز، ج 1، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007.

34 -المشرفي عبد القادر ، **بهجة الناظر في اخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانين بوهران من الأعراب كبني عامر**، تح:محمد بن عبد الكريم، منشورات، دار مكتبة الحياة، بيروت.

35 -المنداسي سعيد بن عبد الله ، **ديوان شعر**، تح: رابح بونار،شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1976.

36 -مورقان جوزيف ، **الكامل في التاريخ**، نقلا عن سعد الله، مجلة الأصالة ،العدد: 08، إصدار وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1972.

37 -الناصري محمد أبوراس ، **فتح الآلة ومنه في التحدث بفضل ربي ونعمته (حياة أبي راس الذاتية والعلمية)**، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة، الوطنية للكتاب، الجزائر 1990.

38 -الناصري محمد ابوراس ،**عجائب الاسفار ولطائف الاخبار**، ج2، تح: المخطوط محمد الغانمي، مركز البحث في الاثربولوجية الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2008.

39 -الورثلاني الحسين بن محمد السعيد ، **نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار** (**رحلة الورثلانية**)، مطبعة بير فونتانا الشرقية الجزائر، 1908.

II - المراجع:

1 -ايقانوف نيقولا ، **الفتح العثماني في اقطار العربية 1516 –1574**، تح:يوسف عطاءالله، ط 2، دار الفرابي بيروت 2004.

2 -بك حليم ، **تاريخ لدولة لعثمانية العلية**، ط1، مؤسسة الكتاب الثقافية 1988.

3 -التميمي عبد الجليل ، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، الجزائر وتونس وليبيا (1816–1871**)م، ط 2، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان، تونس، 1985.

4 -سعد الله ابو القاسم ، **المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الاسلامي 1775–1850** م الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1977.

5 -سعد الله أبو القاسم ، **تاريخ الجزائر الثقافي(1500–1830**) **م** ،مج1-2،ط1،دار الغرب الاسلامي،1998.

6 -السعيدوني ناصر الدين ، **ثلاث رسائل تتعلق بالاوضاع الجزائر قبل الاحتلال** ،المركزالوطني للدراسات التاريخية،الجزائر،1979.

7 -السعيدوني ناصر الدين ،**دراسات في الملكية العقارية** ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1986.

8 -السعيدوني ناصر الدين **النظام المالي للجزائر في اواخر العهد العثماني (1792–1830**)**م** ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1985.

9 -شارف رقية ، **الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19**، دراسة تحليلية نقدية ، ط2، دار الملكية الجزائرية ،2007.

10 - العروي عبد الله ، **مجمل تاريخ المغرب**، ج 3، ط 1، بيروت، 1999.

11 - عميراوي أحميدة، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر لخلال العهد العثماني مذكرات تيدنا نموذجا** ، دار الهدى، الجزائر 2009.

12 – قنان جمال ، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500– 1830**م، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010.

13 – مالستان فون ، **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، تر: أبو العيد دودو ،ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

14 – وولف جون ، **الجزائر واوروبا وحياة الامير عبد القادر** ، تر:أبو القاسم سعد الله، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 1986

III - المجلات :

1. بلحميسي مولاي ، **موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد5، الجزائر 1988.

2. بونو سلفاتوري ، **وضع الجاليات الأوروبية في المغرب العربي قبل الاستعمار**، العدد 25، مجلة الأصالة، إصدار وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1975.

3. التميمي عبد الجليل ، **من أجل كتابه الأعظم بمدينة الجزائر**، المجلة التاريخية المغربية، عدد 19-20، 1980.

4. القيمي عبد الجليل ، المجلة التاريخية، العدد 06، تونس جويلية 1976.

5. سعد الله أبو القاسم ،**مدينة الجزائر في كتاب إنجيليز قديم**، مجلة الأصالة ،العدد 08، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر، 1972 .

6. غطاس عائشة ، **نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني**، مجلة الدراسات التاريخة، معهد التاريخ جامعة الجزائر، العدد 05، 1988.

VI– المذكرات :

1. شويتام ارزقي ، **المجتمع الجزائري فعاليته في العهد العثماني** ، 1519 ، 1830م ، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه في التاريخ الحديث المعاصر، قسم التاريخ ، الجزائر2005،2006.

VII– المعاجم:

1. الزركلي خير الدين ، **الاعلام قاموس تارجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين**، 8 أجزاء، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، 1992.

2. نويهض عادل ، **معجم الاعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر** ،ط2،مؤسسة نوهض الثقافية،بيروت،1980.

3. الصديق محمد صالح ، **أعلام من المغرب العربي**، ج 2، موفم للنشر، الجزائر، 2007

X- المصادر باللغة الفرنسية :

1. ben mansou abed hadi, **alger 16eme17eme siècle jean baptiste gramaye**, evèqui d'afrique ،les edition du cerf، paris ،1998.

2. bigonet ,(u) **une lettre du bey de constantin en 1827** – r-a_ t 43 ,1899, Opu, Alger , 1985.

3. d àranda emmanuel **،relation de la captivité du sieur emanuel dàranda** ,jadis escalave a alger.

4. dan pierre,**histoire de barbarie et de ses corsaires imorimeerie et librairie du roy** ,paris 1637.

5. de haedo digo,**de la captivite a alger**- tradtion: molion villoer- ra tome 41 opu, alger, 1985.

6. de haedo digo,**topographie et histoir général dàlger**, tradution : de dr monnereau et a berbruger présentation de jocelne dakhhia, edtion bouchene ,1998.

7. de paradis Ventire,**Tunis, et alger** , au 17 eme siecle,memoires et observations. Rassemblees,et presentes ,par , josepche couq.

8. emerit , (m) , **le aventures des the denat eschaveet ministre,bey**, d afrique (12eme siecte) mimoir de the dant ecrites. Zurich en 1785_ r. A/ 1948op, v, alger.

9. fedrman, **aucapitaine moticesur l histoire et ladministration du titten** INR.A.N10 , 1867.

10. laugier de tassY،**histoire du royaume dàlger un diplomate français à alger en 1724**, , edition loysel-paris 1992.

11. Rinn , L /m ,**le royaune dalger soule dernier dey** _ t 41 ,1897,opu alger.

12. show, **Làlgerier un siecl avant làucuption français(au 18eme siècle**) edition,umprimerie decarthage,paris,1968.

إن وقوفنا على النماذج من الكتابات المحلية والغربية التي شملت الفترة الحديثة من تاريخ الجزائر كان الهدف منها أساسا للوصول إلى الصورة الحقيقية التي ميزت السلطة العثمانية في الجزائر، وما تخللها من مزايا ومأخذ في مختلف المجالات وذلك على أساس التأليف التي عايش أصحابها الأحداث بأنفسهم فكانت كتاباتهم شواهد حية على هذه الفترة وما تمكنا من استخلاصه:

– لقد ساهمت الظروف التاريخية في تحديد النظرة المحلية ما تعلق منها بالاعتداءات الخارجية التي تعرضت لها الجزائر مع مطلع القرن العاشر الهجري 16 م، وذلك كون هذه الاعتداءات نابعة من منطلقات أوروبية تحمل في طياتها النزعة الصليبية من جهة وكون العثمانيين يمثلون الخلافة الإسلامية من جهة أخرى .

– لقد تقاطعت وجهة نظر العلماء وشيوخ الزوايا وعامة المثقفين في نظرتهم إلى السلطة العثمانية التي حكمت الجزائر من مستحسن وناقم.

– إن المواصفات التي التزمها الحكام العثمانيين في الجزائر طيلة هذه الفترة خاصة فيما تعلق منها قبل تحرير مدينة وهران وتصديهم للحملات الأوروبية كانت محل تأييد واستحسان من قبل المصادر المحلية.

– ساهمت مواقف التأييد في الحفاظ على الدين الإسلامي في الجزائرمن جهة ، ومن جهة ثانية المرحلة التي اعقبت تحرير مدينة وهران من الاحتلال الاسباني ،عرفت بكثرت ازماتها الداخلية السياسية منها كتفشي ظاهرة اغتيال وضعف شخصياتهم وقيام التمردات عليهم، والاقتصادية كظاهرة الجفاف وسنين القحط التي توالت على البلاد وشح المداخيل البحرية وتقلصها ،بالاضافة الى الازمات الخارجية .

– تدهور العلاقة بين الحكام والمحكومين في الفترة الأخيرة وذلك ما أدى إلى القيام العديد من الثورات مهد للاحتلال الفرنسي 1830م، وبهذا فكانت النظرة الغالبة للمصادر المحلية تجاه السلطة هي التذمر والانتقاد.

هذا من الناحية نظرة المصادر المحلية، أما من وجهة نظرة المصادر الغربية وذلك من خلال ما كتبه الأسرى والقناصل ورجال الدين..الخ. فلقد ركزمعظمهم على بعض القضايا والتي اعتمدوا على اثاراتها وتضخيمها وإبراز سلبياتها، كالقرصنة ومسالة الأسرى، إلا اننا نجد بعض من المنصفين اظهروا الجوانب الايجابية للسلطة العثمانية في الجزائر.

وما يمكن استخلاصه بنظرة عامة :

إن المصادر المحلية التاريخية في الجزائر أهمية بالغة في التعرف على الحياة العلمية والثقافية الحياة الاجتماعية والسياسية، رغم أن –المصادر المحلية– أهملت الكثير من الجوانب الحساسة مثل التطرق إلى القرصنة البحرية أو الخزينة العامة أو الأسرى أو الدبلوماسية الجزائرية مع الخارج إلا انها تعد مصدر المؤرخين فيجب أن يحافظوا عليها من خلال استثمارهم في البحث العلمي وتحقيق باقي الكتب التي مازالت مخطوطة في المكتب الوطنية .

إذ نقول بان الكتابات الغربية بقدر ما كانت تحمل في طياتها من تحامل على الايالة الجزائرية وحكامها الأتراك، وما وجه إليها من انتقادات كالذي ذهبا إليه حمدان خوجة بقوله: " وينبغي أن أشير إلى إن هؤلاء الكتاب قد عالجوا ميدانا هو من غيره اختصاصاتهم ذلك إن الوصف الطبوغرافي لموقع مدينة ما أو بلد معين لا يكفي للتمكن من الحديث منطقيا عن المصالح المحلية، بل لا بد من معرفة مناطق البلد ولغته إذ هؤلاء السادة لا يعرفون غير أسماء بعض الأماكن والجبال والسهول أو أسماء بعض القواد من ذوي النفوذ ورجال الدين، ومع ذلك يزعمون أنهم مطلعون على الأمور ويعرفون الأماكن والسكان معرفة جيدة .

لكن المصادر الغربية تعتبر من الوثائق التي لابد من العودة إليها، لكتابة تاريخ الجزائر الحديث فكتابها عرفوا المنطقة وكتبوا عنها رغم أهميتها، إلا أن لها حدود لا يمكن تجاوزها لان لكل عصر ظروف والتزام، فقد امتازت فترة القرن (16-17)م بالصراع بين الإسلام والقوة المسيحية

كما امتازت ببروز الجزائر كقوة بحرية سيطرت على المتوسط، لكن ما يجب أن نقوله على المتصفح لهذه المصادر الحذر منها ولابد من مقارنتها بالمصادر المحلية لتحري المصداقية والمطابقة للواقع .

1/– دوافع إرتباط وإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية :

شهدت الفترة (1512-1792م)تطورات عديدة في مختلف الجوانب السياسية والإقتصادية والإجتماعية دامت ما يزيد عن قرنين ونصف من الزمن ففيما يتعلق من الناحية السياسية فهذه المرحلة بدأت بتحرير جيجل، وإنتهت بتحرير وهران نهائيا من الإحتلال الإسباني، تميزت بجهود العثمانيين لتحرير المواقع التي احتلتها أو أخضعها الإسبان، ونجاحهم في طرد هؤلاء من كافة المدن الساحلية التي كانت تحت سيطرتهم والتصدي للحملات الغازية الإسبانية وغيرها.

أما من الناحية الإقتصادية، فإن العثمانين خلالها قد إعتمدوا على غنائم البحرية ومداخيلها لدعم خزينة الدولة وتنميتها، ولقد تركوا مجالا واسعا للسكان في ممارسة الأنشطة الفلاحية والرعوية والحرفية وغيرها مقابل مطالب ضريبة تج بي منهم أما ما تميزت به المرحلة من الناحيتين الإجتماعية والثقافية فهو تشكل المجتمع الجزائري من عناصر أصلية عربية ثم إنضافت إليها عناصر جديدة وافدة كعنصر الأتراك والأوروبين والسودانين، أما من الناحية الثقاقية فقد تميزت بإستمرار المراكز الثقافية الأساسية وبقيت سائدة بالرغم من دخول الأتراك العثمانين بلغتهم ومذهبهم الحنفي ومن هنا يمكننا أن نندرج في كيفية أو دوافع إرتباط الجزائر بالدولة العثمانية[1].

1/1 – دوافع إرتباط الجزائر بالدولة العثمانية :

كان لظهور الأتراك بالجزائر دور فعال في إنقاذ هذا البلد من إحتلال إسباني واقع لا محالة لذا قبل السكان بالإنضواء تحت لواء الخلافة العثمانية حفاظا على مقوماتهم الحضارية الإسلامية، فلقد كان البعد الديني الفعال في قناعة الجزائريين بضرورة الإستنجاد بالعثمانيين ضد الغزاة الإسبان خوفا من التنصير الذي كان يرمون إليه إن هم تمكنو ا من ارضهم، كما فعلوا بأهل الأندلس مما

[1]– رقية شارف، المرجع السابق، ص54.

يجبرهم على هجرة ديارهم كما يقتضي به الدين الإسلامي على رأي الكثير من الفقهاء وهو ما أثار مخاوف السكان[1] .

وفي هذا الصدد فلقد أفتى الونشريسي [2] لأهل الاندلس بوجوب الهجرة على كل مسلم إذا استولى النصارى على وطنه يقول :(إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة، وكذالك الهجرة من أرض الحرام الباطل بظلم او فتنة)، قال رسول الله صلى الله عليه : "يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن.... والواجب الفرار من دار غلب عليها أهل الشر والخسران إلى دار الأمن والأمان.....ولا يسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية – لعنة الله على معاقلهم وبلادهم ألا تصور العجز عنها بكل وجه وجمال، إلا الوطن والمال، فإن ذلك كله ملغي في نظر الشرع" .[3]

قال الله تعالى: "إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ".[4]

كما استدل بالكثير من الأحاديث الشريفة منها قوله صلى الله عليه وسلم:" لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم، فمن ساكنهم أو جامعهم فهو منهم" [5]، وعلى هذه الفتاوى والادلة الشرعية التي كان لها وقع كبير في نفوس الجزا ئريين مما دفعهم ودون تردد الى طلب الحماية من

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، (**تاريخ الجزائر الثقافي**)،المرجع السابق، ص 461.

[2] – **الونشريسي**:هوأحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، التلمساني ابو العباس فقبه كبير، حامل لواء المذهب المالكي على رأس المائة التاسعة، من أهمل تلمسان وبها نشأ تخرج عليه العديد من الفقهاء من أمثال أبي زكريا السويسي وأبي مليح الملطي ترك العديد من المؤلفات، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب في 12 جزء، ونوازل المعيار، أنظر: أبي القاسم محمد الحفناوي، المصدر السابق، ص293.

[3] –محمد ابن عبد الكريم، **حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 71.

[4] – سورة النساء، الآية98.

[5] – رواه البخاري ومسلم النسائي .

الأسطول العثماني، فكان ذلك، اجدى عندهم من حكم النصارى أو هجرة وطنهم كما ال إليه مصير اهل الأندلس الذين تعرضوا لكل أنواع التقتيل والتعذيب والتنصير ومحاكم التفتيش[1].

2/1– إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية :

يرى مؤلف الغزوات، وهو من المؤلفات التي تمجد عروج وخير الدين [2].[3]في مد النفوذ العثماني إلى الجزائر أن بقاء خير الدين في الجزائر بعد نكبة أخويه عروج وإسحاق كان بإلحاح من الجزائريين .

وقد جاء في كتاب الغزوات :(ثم عزم خير الدين على السفر إلى إقليم الروم لأجل الغز و والمواصلة إلى الجهاد، وجمع أهل الجزائر من العلماء والصلحاء فقال لهم: (أني قد عزمت على السفر إلى حضرة السلطان وأمنت بلادكم من العدو بما تركت فيكم من المجاهدين، ومن وصل إليكم من أهل الأندلس، وما تركت عندكم العدة لأني تركت في بلادكم أكثر من أربع مئة 400 مدفع ،وليكن في بلادكم ولو مدفع واحد" [4]، فقالوا كلهم له :(أيها الأمير لا تطيب أنفسنا بفراقك ولا نسمح لك بذلك، فالله أمة سيدنا محمد فإن الله يسألك عنهم) ومن جملة ما خاطبه العلماء به قالوا له: "أيها الأمير يتعين جلوسك في هذه المدينة لأجل حراستها والذب عن ضعفاء أهلها ولا رخصة لك في الذهاب عنهم وتركهم عرضة للعدو".

---

[1] – محمد إبن عبد الكريم، المصدر السابق، ص 72.

[2] – **عروج و خير الدين:** هم ابناء من اصل تركيۃ واقليم الروميلي اسمه يعقوب بن يوسف كان يقطن بجزيرة مديلي في الارخبيل اليوناني ويحترف صناعة الفخار وله الزيادة على الابناء الاولين وله اخر ابن هو محمد ايلياس ولد عروج عام 1473 وخير الدين في العام المو الي، انظر: نيقولا ايقانوف، **الفتح العثماني في اقطار العربية 1516 –1574**، تح:يوسف عطاءالله، ط2، دار الفرابي بيروت 2004، ص101.

3- انظر الملحق رقم01، 02 ص 109-110.

[4] – مجهول، **غزوات عروج وخير الدين**، تر: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934، ص 41.

فعند ذلك قال لهم خير الدين: (أنتم رأيتم ما وقع من الملاع بين الكافرين ولا يؤمن من عواملهم وقد ظهر لي من الرأي أن نصل يدنا بطاعة السلطان الأعظم مولانا السلطان سليم[1] فيمدنا بالمال والرجال وجميع ما نحتاج إليه من ألة الجهاد ولا يكون ذلك الابصرف الخطبة وضرب السكة عليه.)[2].

فرضي أهل المدينة بذلك وصوبوا رأيهم فيه فأمرهم أن يكتبوا على لسانهم كتابا إليه يخبرونهم بصرف طاعتهم إليه، ومما جاء في هذه الرسالة:(اننا ندعوا السعادة والنصر لمقام السلطنة العلية دعاء يبلغها اقصى الاماني فان عبيدها بالجزائر يكتبون الى مقامها العالي، معبرين ومعترفين لمقامكم العالي بالاجلالو التعظيم ابدا وان رسالتنا هذه لا تستطيع ان تستعرض كل الاسرار....لقد جرت حوادث جليلة ولها اخبار طويلة في نصر المؤمنين وهزيمة أعداء السنة ،و مفادها ان طائفة الطاغية لما استولت على بلاد دلس انتقلوا منها الى قلعة وهران للاعتداء على سائر البلاد، غير انهم بعد استلائهم على بجاية وطرابلس بقيت الجزائر (بين الكفار) كالنقطة في وسط الدائرة وبقينا كدلك حيارى..... وقد نظرنا في الامر ورأينا ان المحن والشدائد تشتد وان الضرورة تقضي بحقن دماء انفسنا، وخوفا على حريمنا واموالنا وأولادنا من السبي والتفريق، تصالحنا مع اهل التثليث وانا لله وعن اليه راجعون) [3].وكتب هو أيضا كتابا يتضمن مفهوم كتابهم وعين أربع ة أجفان للسفر إلى حضرة السلطان وقدم عليها رجلا اسمه الحاج حسين، ووجه معه هدية عظيمة، فوصلت الأجفان إلى حضرة السلطان سليم، ونزلوا بتلك الهدية إلى الوزير الاعظم فأعلم السلطان بقدومهم وواصل إليه الهدية التي قدموا بها فقبلها السلطان وامر بإنزالهم إلى دار الضيافة وأجرى عليهم النفقة، ووجه صحبتهم سنجقا وكتابا إلى أهل الجزائر يقول ما كتبوا إليه، وأنهم ممن تشملهم

[1] – **السلطان سليم الاول** :ولد سنة 885هـ من سلاطين العثمانية اشتهر بالشجاعة وحب الحرب فخلال فترة حكمه ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية توفي سنة 918هـ انظر: حليم بك ، **تاريخ لدولة لعثمانية العلية** ، ط1، مؤسسة الكتاب الثقافية 1988، ص78.

[2] – محمد بن عبد الرحمان التلمساني، المصدر السابق،ص 06.

[3] – عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية، العدد06، تونس جويلية 1976، ص ص116- 120.

عنايته وتحرسهم رعايته، فلما وصل الحاج حسين الوزير بكتاب السلطان سليم إلى الجزائر إستقر خير الدين أمير بالجزائر من قبل السلطان الاعظم سليم و صرف دعوتهما إليه وأمر بذكره على منابرها وضرب السكة عليه"[1].

وفي هذا الصدد حسب رواية عبد الرحمان الت لمساني فإن السكان هم من راسل الإخوة بربروس بجيجل برسالة جاء فيها: "أخذتم بجاية وجيجل من ايدي النصارى، ونصرتم الدين فهنيئا لكم أيها المجاهدون ولا بد أن تقدموا إلينا لتخلصونا من أيدي هؤلاء الملاعين الكفرة لأننا في محنة عظيمة وذل شديد ...."[2] وحسب التميمي فإن هذا العمل ترك إنطباعا حسنا لدى خبر الدين.[3]

أما حمدان خوجة وهو ممن عاصروا السنوات الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر فيقول عن هذا الانضمام ...(أما عن حكومة الاتراك ، فإن هؤلاء السكان عندما رؤا ان القائد المسلم جاء لنجدة الاندلسيين، ولمنع الإسبانيين من ان يقتلوهم أو يغرقوهم، استقبلوه بالعرفان والحماس وعيينوا له القصبة ليتخذها مقرا وبعد حين من ذلك تكونت في مدينة الجزائر حكومة قائمة على مبادئ معتدلة ...)[4].

مما تقدم يمكننا القول إلى أن الجزائر مرت بظروف صعبة خلال القرن 16م جزاء الغزو المسيحي مما أدى بها أستقبال طواعية الأخوة بربروس وكان اهالي المدينة اول من تقدم بطلب الدخول تحت لواء الدولة العثمانية وكان الطلب محل الإستحسان والقبول . من طرف السلطان سليم العثماني فأصبحت الجزائر إيالة عثمانية .[5]

---

[1] – مجهول،(**الغزوات عروج وخير الدين**)، المصدرالسابق، ص42،44.

[2] – محمد بن عبد الرحمان التلمساني، المصدر السابق، ص 32.

[3] – عبد الجليل التميمي، **من أجل كتابه الأعظم بمدينة الجزائر**، المجلة التاريخية المغربية، عدد 19-20، 1980، ص 157.

[4] – حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تر: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة، الجزائر، 2006، ص70، 71.

[5]-انظر الملحق رقم 03 ص.111

2- نظرة التأييد والإستحسان إلى السلطة الحاكمة :

إن المكانة والمنزلة المحترمة التي حظي بها اصحاب هذه المصادر من طرف السلطة الحاكمة جعلت مؤلفاتهم تفيض بالإشادة والإحسان للدور التي كانت تقوم به السلطات العثمانية في الجزائر طيلة الفترة التي سبقت للتحرير المواقع المحتلة من طرف الإسبان، ومن بين هؤلاء : محمد بن ميمون الجزائري، عبد القادر المشرفي ،حمدان بن عثمان خوجة، إبن هطال التلمساني، أبوراس الناصري، أحمد بن سنحون الراشدي.

1/2- نظرة المصادر المحلية إلى علاقة السلطة العثمانية بالقوى المحلية :

أ- علاقة السلطة مع المرابطين والصوفية:

إن نظرة الدين والمسلمين كان هو المبرر الأول لظهور العثمانيين في المشرق والمغرب العربي فلولا الحروب الصليبية التي شنتها أوروبا الغربية بقيادة إسبانيا ضد الجزائر والمغرب العربي عموما وكذلك الاندلس لما كان هناك مبررا لتدخل أل عثمان، فقد كانوا مدفوعين برغبة الجهاد والحماس الديني للدفاع عن حدود الإسلام الغربية وكانوا يبحثون لهم عن خلفاء مؤيدين فوجدوهم في رجال الدين وخصوصا المرابطين .

ولقد رحب معظم المرابطين بالعثمانيين كما ان هؤلاء قد شعروا بان اقرب الناس اليهم هم رجال الدين و التصوف،ومند بداية العهد كانوا العثمانيين يطمئنون الى المرابطين اكثر من غيرهم ويلجؤون إليهم ويتبوكون بهم ويطلعونهم على حظهم وهذا يدل على الثقة المتبادلة بين الطرفين . هذه المكانة التي حظي بها المرابطون ورجال الصوفية من طرف السلطات العثمانية جعلت الكثير من المصادر تنوه وتشيد بها[1].

و ذلك ما ذكره حمدان خوجة :(...لم يكتف الأتراك بأن فرضوا على أنفسهم إحترام هؤلاء المرابطين، وإنما صاروا يقدمون لهم أكبر الإمتيازات وأثمنها، وصارت أماكن سكانهم و ضرائحهم بعد الموت، مقدسة كما أن القانون لا يمس كل من لجأ إليها كانت هذه إحدى الرسائل التي

[1] – أبو القاسم سعد الله، (**تاريخ الجزائر الثقافي**)، المرجع السابق، ص ص،460،463.

استعملت الأتراك كانم يقيمون الصلاة بإنتظام مما جعل البرابرة يتصور ن ،بأنهم مرابطون وصالحون وهذا ما جعل الآيالة يخضعون للأتراك ويثقون فيهم[1].

ومن جهة أخرى نجدالقرومي[2]محل إستحسان والتأييد في كتبمخاطبا به الداي محمد بكداش[3] قبل فتحه لمدينة وهران، وفيه مدح له بخصاله وس ياسته "الأمير الذي شهدت بإمامته أبرار الرجال ووجبت ببيعته وطاعته علينا في جمع الأحوال، فقمنا لله في نصحه بالدعاء له بالنصح والرشد في الأفعال، أمام المسلمين وخليفة رسول العالمين في احكام الله وتعظيم شعائره السيد محمد الداي بلغة الوقت، والإمام العادل حقيقة النعت سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته من محبكم ومعظم جلالكم بالشرع والطبع، أبي زيد محمد عبد الرحمن بن إبراهيم، وبعد: مما وجب إعلامكم بشائرة لعظم قدره وفقد نظائره ،ما أجرى الله بوادر الإلهام، وتحقيق سيرة النبي عليه السلام على لسان والدنا حفظه الله الشيخ المسن بتحقيق إمامتكم، والشهادة بمنصة جلالك م، وذلك أنه أملي علينا سبعة عشرة يوما خلت من رمضان أبياتا، جرت على لسان بوادر الجبر، الذي هو نوع من المكالمة والمحادثة في طريق القوم (هم رجال التصوف) على بساط المشاهدة والعلم اليقيني ونص الأبيات التي أملاها علينا هي: [4]

[1] – حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 73.

[2] – **القرومي:** هو أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الشهير بالقرومي وهو رضي الله عنه من أهل اللسان في التكلم والصبر على التعليم والتعلم، يحمل من العلم فنونا، ويقتضي منه على الأيام ديونا، قد إرتسم في الولاية تلو أبيه وراثا لمقامه ذلك البنية، أنظر: محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 229.

[3] – **الداي محمد بكداش:** حكم مابين 1707-1780م، كان من كبار العلماء والأدباء وجه عنايته لإسترجاع وهران وأعنانه بذلك مصطفى بوشلاغم فأرسل صهره حسن أوزو على رأس قوة كبيرة فتم تحريرها مع المرس الكبير. انظر: محمد بن الميمون الجزائري ، المصدر السابق،ص23.

[4]– نفسه،ص229.

الله أعلم ما أقاسي من جوى عمن بوهران من ذوي الأحلام

يأمير جيش قد علينا تطاولت أيام فتحك لم تح ن يتم ام

فأنهض بعسكرك العرم رم وإستعن بالله ينصركم على اللئام

فأذا ظفرت بفتحها أحسن إلى من كان عندك بالرضى ومرام

والله ينصركم ويشكر فعلكم ويزيدكم فخرا لدى الإمام [1]

لقد كانت نظرة هذا المرابط إلى الحاكم العثماني ، وهو يمدحه هي نظرة كافة للمتصوفة إلى الحكام طيلة هذه الفترة قبل تحرير المواقع، وقد يعود سبب ذلك الإمتيازات التي كانت تحظى بها هذه الفئة من قبل السلطة الحاكمة لما كانت تجود به هذه الأخيرة عليهم من هدايا والزيارات والهبات وكذلك التقدير والتبجيل الذي كانوا يلقونه، ومن ذلك ما حظيت به أسرة الفكون في قسنطينة وإن كانت علم فهي أسرة بصوف نال به الفكون التكريم بإمارة ركب الحجيج لإنتسابه إلى الطريقة الصوفية الزروقية، وهذا مقتطف من نص تعيينه:"الحمد الله، ليعلم من يقف على هذا الأمر الكريم .... من القواد والعمال والخاص والعام ببلد قسنطينة... فإن الشيخ العالم القدرة .... سيدي عبد الكريم الفكون.... ظهر له يتبع طريق إمام التحقيق شيخ الأشياخ العارف بالله المحقق المتبرك به في الحركة والسكون سيدي أحمد زروق [2] نفعنا الله ببركاته.... آذانا له بضرب الطبل ويتوجه بالمسلمين ...للبيت العتيق..." . كتب بامر عبدالله المجاهد في سبيل الله ابي الحسن علي باشا–ايده بتاريخ أوائل رمضان المعظم عام ثمانية وأربعين وألف[3].

---

[1] – محمد بن ميمون الجزائري ،المصدر السابق، ص230.

[2] – **أحمد زروق:** هو صاحب الطريقة الزروقية فقيه محدث صوفي من أهل ناس بالمغرب قرأ بمصر والمدينة غلب عليه التصوف وكان من المتريدين على بجاية وقسنطينة وتلمسان دفن في ليبيا وأثرت طريقته في كافة المغرب العربي، أنظر : خير الدين الزركلي، **الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين** ، 8 أجزاء، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، ص 91.

[3] – محمد بن عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف في حال من أدعى العلم والولاية** ، تح :أبو القاسم سعد الله، ط1، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 137، 138.

كمانجد أبو راس الناصري يمدح هذا الباي (محمد بكداش) ويقارنه بالملوك الكبار رغم أنه باي يخضع لسلطة مركزية ويأتمر بها:

فاق ملوك الأرض طرا كأنهم نجوم وهو بينهم البدر طالع

فلم يبلغوا في الملك مثل محمد ولا بذلوا كبذله المتواسع

كأنه شمس والملوك كواكب اذا ظهرت لم يبد منها ساطع [1]

ب– علاقة السلطة مع العلماء والمثقفين :

إن صراع العثمانيين ضد التواجد المسيحي الذي ظهر كجهاد مقدس في نظر العلماء وإنتصاراتهم التي تركت اثر حسن لدى الأهالي، هو الأمر الذي حتم على العلماء التعاون معهم ومساعدتهم وجمع التبرعات لهم، ودعم فكرة التحالف بينهما خاصة أن السلطة بالجزائر لم يكن بإمكانها التغلب على تهديدات السفن الأوروبية من دون مساعدة وحماية المرابطين والعلماء ولقد أوضح هذا المؤرخ أبو القاسم سعد الله في هذا الصدد :(لقد كان العلماء يمثلون الرأي العام في الجزائر خلال العهد العثماني،فهم رغم ترفعهم الطبقي كانوا على صلة بالناس والدروس ومجالس الفتوى والقضاء وخطب الجمعة ونحو ذلك، وكان الناس يثقون في رجال الدين أكثر مما يثقون في رجال السياسةوالحرب، ولهذه المكانة التي كانت للعلماء كان العثمانيون يقدرون ويخشونهم في ذات الوقت ويتقربون منهم ويمنحوهم الهدايا وكانوا أحيانا يلجأون إليهم في موقف التأييد أو غير ذلك، كما أن العلماء كانو في حاجة إلى الباشوات والبايات طمعافي مال أو وظيفة، وقد إشتهر بعض الباشوات بتقريبهم للعلماء ومر اعاتهم، إما حبا في الدين والعلم وإما طمعا في تأييد أما حبا

[1] – محمد ابوراس الناصري ،**عجائب الاسفار ولطائف الاخبار** ، ج2، تح: المخطوط محمد الغانمي، مركز البحث في الاثربولوجية الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2008، ص40.

في المدح والثناء...من هؤلاء القلة "يوسف باشا"[1] و"محمد بكداش"[2]، ويؤكد على ه ذا صالح العنتري لأحوال دخول الأتراك بلد قسنطينة، وكيف كانت من غير حرب، ولا إستعمال سلاح، مبرزا الدور الذي لعبه الشيخ إبن الفكون في تسكين روع السكان وطمأنتهم و ملاطبتهم قائلا:(هؤلاء الترك قدموا من حضرة السلطان العثماني وهم من أبناء جنس وتحت حكمه، إذ لا يلق بنا مقاتلتهم، ولا يسعنا منعهم من دخولهم، فعند ذلك أذعن له الصف الآخر وإنقا دوا أتفقوا لكذا كل الناس وفتحوا أبواب البلاد .... فحينئذ تأنسوا أهل البلاد بكلامهم وإطمأنوا لجانبهم.

وكان الخبر وصل إلى الباشا بالجزائر فكتب رسالة إلى الشيخ الفكون ، جاء فيها" :الحمد الله....فقد بلغنا انك سرت إلى ناس قسنطينة بالتدبير المفيد والرأي الصائب... فجزاك الله بأحسن الجزاء وضاعف لك الخير والثناء وما أنت إلى حبيبنا وصديقنا من كونك تسعى إلى الخير والصلاح.... ثم نلتمس منكم دعاء الخير في كل خطب زمان كل ركب "كتب بأمر الباشا الجزائر.[3]

كما نجد إبن سحنون يقدم وصفا حيا للمعاملة التي خص بها العلماء أثناء تحرير وهران من طرف" محمد بن عثمان باي"، وفيها نظرة استحسان على تخصيص لبايات معاملة لائقة ومكانة محترمة للعلماء وجاء فيها:" وكان أول من دخلها بعد الذين وضعوا الإعلام وعمروا المدافع، وبنوا المضرب للأمير العلماء يقدمهم صحيح البخاري، ثم يلاهم الأمير فيجنده الجرار، وفي يده رمح كاد أن يمزق أديم السماء طولا ويمس الثريا، وأسرة وجهة تتهلهل بلوامع البشري"[4]

---

[1] – **يوسف باشا**، 1634-1637م: ارسله الباب العالي فابتدء اعماله بنقض الصلح مع فرنسا نزولا عن ارادة الديوان وعادة الحرب البحرية بينهما فارسلت فرنسا عمارة قوية للاخضاع الجزائر تحت قيادة الكوماند رومانتان لكنه اخفق في العملية، انظر احمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ،ص551.

[2] – أبو القاسم سعد الله، (**تاريخ الجزائر الثقافي**)،المرجع السابق، ص 411، 412.

[3] – محمد صالح العنتري، المرجع السابق، ص46، 47.

[4] – احمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص419.

.وبناء على ما تقدم فلقد كان العلماء الجزائريون يرون في دعمهم للحكام العثمانيين حماية الدين الإسلامي وصونا لأعراض المسلمين من الغزاة المسحيين وهذا ما جاء على لسان ابن العنابي وهو واحد من المثقفين الجزائريين في وصفه للعثمانيين منوها بالدور الكبير الذي قاموا به في حفاظه على الدين الإسلامي : (لولا ظهور الدولة العثمانية، على الله مقامها، ورفع بالتأييد والنصر أعلامها، فجدد القائمون بأعبائها معالم الدين، وأحيوا ما اندرس من شريعة سيد المرسلين لاتسع الخرق، وعم الفساد سائر الخلق)[1].

ج– علاقة السلطة مع القبائل والرعية:

لقد أدرك العثمانيون منذ بداية الأمر أن القبائل الجزائرية لها خصوصياتها ويجب أن تحترم لكي تستب الأمور ويسود الاستقرار فكان همهم هو كيف يحافظون على علاقتهم بالسكان ، فإذا ساءت العلاقة مع إحدى القبائل واجهوها بالقوة وأعادوا لها الاعتبار والاحترام والمكانة التي تستحقها وهذا ما نوه به حمدان خوجة " ذلك أنهم عندما يخضعون قبيلة عدوة ثم تستسلم تلك القبيلة يتقبلونها بحفاوة ويعيدون إليها ما أخذ منها أثناء الحرب "، ويضيف كذلك قائلا :" وقد يعوضون لها الأشياء المتلفة حتى يتمكنوا من أن يجلبوها إليهم بعد الانتصار عليها.

لقد كانوا يبرهنون لمثل هذه القبيلة على ثقتهم بها ويدفعونها إلى أن تعيش هادئة ... وإذا اعتزمت إحدى القبائل على تشويش الأمن العام فإن القبائل تنضم إلى الأتراك لمحاربتها."[2]

إضافة إلى هذا نجد كذلك ابن سحنون يعدد خصائل الباي محمد الكبير في قصيدة شعرية ويشيد بسيرته الحسنة للرعية جاء فيها:

---

[1] – ابو القاسم سعد الله، **المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الاسلامي 1775–1850** م الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1977، ص74.

[2] - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 73.

ذاك الأمير محمد بن عثمان ذو العزم الذي فاق حد الصارم الذكري
فهو الهمام الذي عمت نوافله كل الرعية من بدوو من حضر
أقامه الله في نفع العباد فما لديه سعي سوى بالنفع للبشر

ومما تقدم القول أن علاقة السلطة الحاكمة مع المرابطين والمتصوفة والعلماء والقبائل والرعية اتسمت طيلة هذه الفترة بالتعاون والتواصل على غير بعض القبائل الرافضة لهذه السلطة، حفاظا على خصوصياتهم وصون مكانتهم[1].

2/2- نظرة المصادر المحلية إلى الجهود العثمانية:

أ. في مجال الجهاد :

لقد نوهت المصادر المحلية بالجهود التي بذلها العثمانيون منذ ظهورهم في الحوض الغربي للمتوسط فنجد أبو راس الناصري يثني على خير الدين بربروس ويعدد خصاله الجهادية بقوله : "دخلها ملوك الأتراك سنة خمس عشرة وتسعمائة وأول من ملك بها منهم، مشهور السريرة واسطة القيادة متنقل الأحوال سعد المنال، أمير المسلمين، السلطان حسن خير الدين، فهو سبب سعادتهم وإنتشار صيتهم، فكان جهه للصباح ولسانه للفصاحة ويده للسماحة وعقله للرجاحة كان قبل حلوله للجزائر طبق أرض الكفرة بالغزوات، وكثر لديه الفتوحات وامتدت له سعادة الحياة[2]."

وإن الإنتصارات التي حققها كل من خير الدين وأخوه عروج ضد الإسبان على شارلكان الخامس نجد المجهول في الغزوات يثني هذا الإنتصار ورسم صورة للجزائر فيها من الفخر والإعتزاز ما تستحقه عقب هذا النصر المبين فيما يلي:" وبقيت الجزائر كالعروس تختال في حليها وحللها من

[1] – احمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 138.

[2] – جمال قنان، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500– 1830**م، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010، ص 56.

رخاء الأسعار وأمان الأقطار ، و لم يبقى لهم عدوا يخا فونه منه وشاعت هذه القضية في مشارق الأرض ومغاربها، وبقي رعب المسلمين في قلوب الكفار مدة طويلة بقدره العزيز القهار."[1]

كما لقيت الحركة الجهادية التي ميزت الوجود العثماني في الجزائر الكثير من التنويه والإشادة لدى السكان، الذين تفاعلوا معها فنجد "محمد ابن موسى". [2]

يهنئ الباشا "حسن بن خير الدين"[3] لما حققه من إنتصار على النصارى ويشيد لفتوحاته في القصيدة التالية :

هنيئا لك باشا الجزائر والغرب بفتح أساس الكفر مرسى قرى الكلب

ستفتح وهران ومرساها التي أضرت بهذا الإقليم طرا بلا ريب

فثق بإلاله وإستعن أو صبرن ينلك المراد يا أميري ومطلبي [4]

كما نجد "محمد بكداش" أنه لقي من التمجيد والمديح لدى المصادر المحلية لعنايته واسترجاع وهران من الإسبان، فنجد إبن سحنون يصفه مبرزا خصاله الجهادية " بكداش هو الامام العلامة الناظم الثائر مقيم رسم الجهاد الداثر الملك العظيم ...فكان لا ينفق على الجهاد الأمن خاص ماله دون مستعين الا بخالقه تعالى وقد انفق عليه ما لا يحصى له عدد ولا تسمح به نفس سواه ابدا [5]"

---

[1] – مجهول، (غزوات عروج وخير الدين)، المصدر السابق، ص 35.

[2] – **محمد بن موسى** :هو عبد الرحمان بن محمد بن موسى الفقيه العلامة نشأ على عفة وصيانة وجد وإجتهاد شديد الإقتفاء لأحكام الشرع وكان علامة في الفقه والوثائق ولد في 1525م وتوفي يوم الجمعة 1602م، أنظر: **محمد بن مريم التلمساني، البستان، في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان محمد صالح الصديق**، منشورات السهل، الجزائر، 2009، ص 154.

[3] – **حسن بن خير الدين:** تولى الجزائر سنة 1544م شرع حسن ابن خير الدين حالة وصله في مواجهة الغرب وعمل على تحصين مدينة الجزائر، كما اخذ على توطيد النظام في الجزائر وبين صفوف الجيش وانصرف الى حل مشاكل منطقة تلمسان انظر عبد الرحمان الجيلالي ،المرجع السابق، ص66.

[4] – احمد ابن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص154.

[5] –احمد ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 115،116.

وفي هذا الصدد نجد أن ميمون مشيدا بجهوده قائلا " فلما صار ،الأمر لهولانا "بكداش " لم يقدم شيئا على الاعتداء بالجهاد الكفرة الأوباش فجمع من الجيش العسكر المنصور ،وأمر ع ليهم السيد حسن (صهره أوزن حسن) ن صره الله وأيده ... وقال هذا خليفتي عليكم في كل حال ،تخيرته بالنيابة عني في تدبيركم والقيام بالدقيق والجليل من أموركم .... ثم ارتحل من الجزائر بالعسكر المنصور ورياح النصر تضرب اللواء المنشور، و لم يزل يجد سيره في حفظ الله إلى أن نزل بالمحلات وطال المدلات فطارت نفس الكافر في أثناء منازلتهم جزعا ،وجاءته منيتق..... فتبارك من لا يكيده كائد،ولا يبيد ملكه وكل شيء بائد .

الله اكبر أي شيء حزته حتى استكان لامرك العظماء

شهدت لك الأعداء انك ماجد والحق ما شهدت به الاعداء [1]

أما عبد القادر المشرفي فقد نوه بجهوده مصطفى بوشلاغم، وأشا د بحماسه الجهادية بقوله " والحال إن بآي الأيالة الغربية ،الجامع بين إيالة مازونة وتلمسان السيد مصطفى بوشلاغم بن يوسف المسراتي كان رابطا على وهران ملازم ا للجهاد النصارى ،رائما فتحها و صابرا على بلائها[2].

وما ذكره ابن هطال التلمساني عن محمد الكبير مبرزا عزيمته ،وتصميمه على تحرير مدينة وهران من الاسبان بأسلوب فخر واعتزاز في قوله " وفي فاتح قرر محمد الكبير أن يسترد مدينة وهران من الاسبانيين ،وأرسل إلى داي يشاوره في أمر ،فإذن له الداي محمد عثمان باشا في ذلك فنادى الباي في الناس حي على الجهاد"[3]، كما أمتدحه النقيب أشرف الجزائر أحمد الشريف الزهار

[1] – محمد ابن ميمون الجزائري، المصدر السابق، 210،211.

[2] – عبد القادر المشرفي، **بهجة الناظر في اخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانين بوهران من الأعراب كبني عامر**، تح:محمد بن عبد الكريم، منشورات، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص38.

[3] – احمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص19.

بجهوده التي تكللت بفتح المدينة " وفي سنة الست أي 1791م ،فتح الباي أحمد وهران ... وأطال الحصار عليها ،حتى سلموا وخرجوا منها، جاءت البشائر للجزائر بفتحها، وانتقل محمد باي إليها وسكنها وصارت سكنا للبايات بعده ودخل الناس إليها وعمروها بنيت فيها المساجد وبعث حسن باشا، بشارة فتح وهران ومفاتيحها للسلطات سليم ... ففرح بذلك واستبشر المسلمون بهذا الفتح العظيم والنصر المبين .[1]

وما جاء في لسان الأمير محمد من أبر از للمواصفات الجهادية لمحمد الكبير في قوله : " ...لم علم ملك إسبانيا أن محمد باي قوي العزيمة، عظيم الرغبة ففي فتح وهران ،كتب إلى بابا حسن في تسلميه واشترط أن يسلمها على ما كانت عليه حين دخلتها جيوشها ،وأن يخربها جميع ما أحدثوه فيها من الأبراج والقلاع فأجابالولي إلى ذلك على أن يدفع مصاريف الحرب فقبل الملك وتم الجلاء[2]"

ومن خلال النماذج الجهادية التي إلتزمها العثمانيون في الجزائر طيلة وجودهم بها كانت هي السمة الغالبية على فترتهم المميزة لسياستهم نجد أغلب المصادر المحلية تشهد بها .

ب / – في مجال الإصلاح والعدل ومحاربة الفساد:

لقد كان الجزائر تبين هدفهم من العثمانيين حمايتهم والصهر على مصالحهم وصيانة الأمن لهم ،ورعاية العدل ففي هذا الصدد نجد أحمد بوضربة، في تقرير اللجنة الإفريقية ، مقدما بعض المواصفات التي ينبغي مراعاتها في التعامل مع السكان :" إذا أردتم دفع الحضارة إلى الداخل فلديكم وسيلة واحدة هي الصبر والوفاء ، والالتزام بالعهود ،والعدل والإنصاف والاعتذار، وبالتالي جميع الصفات التي يتحلى بها الإنسان التزيه ،وإذا أردتم أن تفعلو ا غير ذلك ...فلن يكون النجاح

[1] – أحمد الشريف الزهار ،المصدر السابق، ص 63 .

[2] – الأمير محمد، المصدر السابق، ص112.

حليفكم..."[1] فهذه السياسة انتهجها العثمانيون في تعاملهم مع السكان وأعطت ثمارها وساهمت في طول بقائهم في الجزائر ،كما نجد "حمدان خوجة "ينوه ويشد بسيره وسلوكات العثمانيين الأتراك وبمدى التزامهم بالقوانين ومدى احترامهم لعادت السكان وا جتهادهم في الابتعاد عن كل ما يسيء إلى وجودهم بالجزائر فيقول : " ومن النادر أن تجد سارق أو قاتلا من هؤلاء الجنود وقد كانوا شديدي الحرص على احترام عادات البلاد لي حبوا أنفسهم إلى سكان الإيالة ومن كانت لهم بعض المساوئ كانوا يعملون على إصلاحها، أو يخفونها بدقة لأن مستقبلهم موقوف على حسن سيرتهم"،وفي نفس الصدد يبرز بعض المواصفات والسلوكات التي ميزت بعض الحكام العثمانيين وهم يقدمون التضحية من أجل الجزائر فيقول " فنجد الكثير منهم لا يتزوجون عمدا ليرتكزوا ثرواتهم إلى بيت المال " ويضي ف قائلا:"من طباعهم الحسنة أنهم يتسمون بالقناعة والشرف والكرم فبمجرد ما يحصل أحدهم على بعض المال يسافر إلى تركيا مسقط رأسه فيأخذ معه الألبسة فاخرة ليظهر الرخاء والترف أمام بني وطنه وليعجبهم ".[2]

أما عن ابن سحنون فنجده يشيد بالمجهدات التي كان يبذلها العثمانيون في الجزائر لتوفير الأمن وحفظه قائلا : " ثم إن دولة الأتراك ضربت الأرض بجر انها والتقت بهذا المغرب الأوسط ككلها ..فدوخوا عصاتها، ودانت لهم أهلها، فانقطعت عروق الفتنة ..." [3]

وفي هذا الصدد في هذا المجال العدل والإصلاح نجد "حمدان خوجة" الأكثر من يغضون الطرف عن المساوئ الحكام الأتراك ويحرصون على إظهار محاسنهم يقول: " كان قادة الحمايات الشيوخ يقولون لأجناده م إننا لم نخضع هذا الشعب بحد السيف ،ولم نمتلك البلاد بالقوة ،وإنما أصبحنا سادة العدل والإحسان، وفي بلداننا قادة ،وإنما حصلنا على مطالبنا في هذا القطر ولذلك فهو وطننا، ووجبنا أن نجتهد المساهمة في إسعاد السكان كما لوكنا نعمل من أجل أنفسنا "

[1] – العربي الزبيري، المصدر السابق، ص201.

[2] – حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص ص 80-82.

[3]– احمدإبن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 64 .

وما عبر عنه هذا الأخير عن التزام الحكام العثمانيين بهذا العدالة والإنصاف بين السكان "هناك وسيلة أخرى استعملها الأتراك لاكتساب ثقة الأهالي وتتمثل في تطبيق العدالة وانتصار الذين يعتبران أساسا لجميع الحكومات التي تريد أن تكون عظمتها دائمة، وعند ما يمتد التأثير غلى العقول فإن الأجسام تتبع بالطبع وما لفتح الحقيقي إلا ذلك الذي يستهدف القلوب لا الأجساد"[1].

فيما يخص محاربة الفساد نجد "صالح العنتري" في سردة لسيرة بعض البايات وعاقبة ما لقوه من السلطة الحاكمة نتيجة ،انحرافهم فيقول : عن دالي باي"[2]، أول من تو لى الداي باي رحمه الله في عام سبعة والثمانين وألف وكان رجلا قتالا بأخذ أموال الناس بالباطل ، فاشتكوا به ناس قسنطينة إلى الباشا بالجزائر فقتله"[3]، وكذلك في نفس الصدد يشيد حمدان خوجة ببعض الموصفات التي أكسبت ثقة الناس بالعثمانيين يقول " كانوا يظهرون أنفسهم في مظهر حماة الدين ، ويمتعون عن القيام بكل ما هو مناف للقوانين، ولا يعملون إلا بالقانون ،ولفائدة القانون ، ثم هناك وسيلة ثالثة عرضية فحواه ا أن الأتراك يقيمون الصلاة بانتظام...هذه الأسباب جعلت الناس الأيالة يخضعون طواعية للأتراك ويثقون فيهم ثقة عمياء، وإذا اعتزمت إحدى القبائل على تشويش الأمن العام ،فإن القبائل الأخرى تنظم إلى الأتراك لمحاربتها وقلما يلجأ هؤلاء الى قوتهم الحربية، وإنما كانوا يفضلون الاعتدال لبلوغ الأهداف التي وضعها لأنفسهم " [4] ،وفي نفس الصدد ابن سحنون ينوه بخصال محمد الكبير بحصالة لمحاربة الفساد في القصيدة التالية :

---

[1] – حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 73 .

[2] – **دالي باي** : ولد عام 1676 شهر أفريل وهومن قوات المبلشبة التركية ويتضح من رواية العشري أنه قتال وسفاك للدماء ومخرب فأعدم وتوفى عام 1688 وعوف بإبنه عمر بن عبد الرحمان المدعو باش أغا، أنظر صالح العنتري، المصدر السابق ،ص49.

[3] – نفسه،ص49.

[4] – حمدان بن عثمان خوجة ،المصدر السابق، ص 73 .

أما ترى الملك قد ضائت جوانبه وما عتى منذ أتى في الغرب جبار

ذاك الجواد أمير الناس قاطبة محمد خير من قاموا ومن ساروا

لا زال يسطوو بعطب ثم يقط ع من يسطو ويردع من عتوا ومن جاروا [1]

ج/ في مجال الثقافة والتعمير :

لقد كانت الثقافة في الجزائر خلال العهد العثماني مرتكزة أساسا على العلوم الدينية وإن شيوخ الزوايا والعلماء كانوا يعلمون الطلبة ويلقون الدروس بانتظام ويقدمون الاجازات لهم وكانت تلقي في الزوايا والمساجد والجوامع وبهذا لقي العلماء وشيوخ الزوايا مكانه من الاحترام والتقدير لدى السلطة الحاكمة من العثمانيين وانصب اهتمامهم على بناء الحصون والمساجد والقصور وهذا مكان محل فخر واعتزاز نوهت به المصادر المحلية فنجد أوراس الناصري يشيد بجهود بالحكام في مجال الثقافة متحدثا بيت الكتب بقوله : " وقد بناها الملك الأصفى، والخليل الأوفى، والمحب الأصفى، السيد الباي مصطفى . "، ويضيف قائلا : " ولما أردت تجديد تبيضها وترميمها ذكرت للباي الأسعد الأمجد عزيز النصر ،ونخبه العصر ، وريحانة الدهر، السادل على الرعية الأمن والأمان ،الباي السيد محمد بن عثمان ...فبعث لي مع ساقه مائه ريال بوجوهها قامت أوصى إقامة بترميمها وتبيضها .[2] "، وعلى لسان ابن سحنون فإننا نجد يمتدح محمد الباي الكبير في محبته للعلم :(ولمحبة هذا الأمير للعلم والأدب كان يشري كتبه بالثمن البالغ ،ويستكثر منها ويستنسخ ما لم تسمح نفس مالكه ببيعه ، وكثيرا ما يأمر بقواءتها بحضرته في مجلس حكمه) ويضيف قائلا : مشيدا بالتر تيبات التي وضعها هذا الأخير لإحدى المساجد " ، ورتب له خطيبا وإمام وأربعة مدرسيين أحدهم لتفسير الحديث ،و الثلاثة لغيرها ،ورتب لكل بيت في مدرسة ما يكفي لشراء الزيت في كل شهر ، ولمقدم الطلبة راتبا معلوما،ولمن يصحح ألواحهم كذلك، وكذا

[1] – احمد ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 143 .

[2] – ابوراس الناصري، (فتح الاله ومنته)، المصدر السابق، ص75.

لمن يقرؤون الحزب داخل المسجد صباحا ومساءا، ولمن يروى للناس حديث اللغو يوم الجمعة ومن يقرأ لهم تنبيه الأنام وغير ذلك ..." [1].

أما عن نور الدين عبد القادر فيقول : " فهذا عبد الرحمان الجامعي يفاخر بمدينة الجزائر وهي عاصمة الايالة ومقر السلطة الحاكمة ،قائلا :" فهي والحمد لله إلى الآن دار الجوهر الفريد في الأدب وعلم العقل والنقل، وتنبت العلماء، والصالحين كما تنبت السماء البقل ..وهذه المدينة لا تخلو من القراء نجباء وعلماء أدباء وأعلام خطباء، مساجدهم بالتدريس معمورة ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة ومشهورة .."[2].

ولقد كان هذا الأمر يقتصر على البايات وكذلك الدايات تفاعل بعضهم مع هذا النشاط اخر أيام حكمهم ، وهذا ما تحدث عنه أحمد الشريف الزهار عن الداي حسين أخر الحكام العثمانيين، " وفي هذه السنة 1828م هدم الأمير المسجد سافرو أعاد بنائه في نفس السنة وجعل درس لصحيح البخاري كل يوم ، بجامع "خضر باشا"[3]، على أن يختم كل شهر ثم جعل حزبا بالجامع الاعظم، وفيه أربعون طالبا، يقرؤون سورة "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا "[4] كل وقت الزوال".[5]

اما في مجال التعمير نجد الورثيلاني ،أشاد في رحلته بهذا قائلا:(و لان مادة البحر في الجزائر أوسع من مادة البر، وعلى تقدير وجود الأموال... بنو الحصون به والأبراج والثغور، واقاموا

---

[1]– احمد ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق ،ص 140 ،141 .

[2] – نور الدين عبد القادر ، **صفحات من التاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء التركي** ، نشر كلية الآداب الجزائرية ،الجزائر 1965 ،ص 198 ،199 .

[3] – **خضر باشا**،(1589-1592)م: اخضع الثورة قامت بها قبائل بني عباس ونشط القرصنة السفن الدول التي لا ترتبط بمعاهدة مع الجزائر ولما انتهت المدة رجع الى اسطنبول واتهم باختلاس فسجن وعاد مرة ثانية (1595-1596م)،انظر : احمد الشريف الزهار، المصدر السابق ،ص50.

[4] –سورة الفتح ، الاية 01.

[5] – احمد الشريف الزهار ،المصدر السابق، ص 166 .

العساكر والنوبات في كل محل محوف ،كثغر بجاية وجيجل والقل وبونة وغير ذلك مما يحتاج اليه الحفظ من العدو" [1]ويقدم كذلك محمد بن يوسف الزياني عن ما انجزه الداي إبراهيم قائلا:" ثم تولى إبراهيم بن رمضان افندي سنة 1144ه وهو الذي بنى قنطرة الحراش ونقش اسمه وتاريخ بنائها على لوح من الرخام مركبا فيها اربع ابيات :

تم بناؤها البديع الباهي عن اذن بانيها لوجه الله

وهوإبراهيم باشا بن رمضان فصار قنطرة كما ترى العيان

جعل الله سعيه مذكورا ثم جزاه جزاء موفورا

سنة تسع أربعين مائة الف من هجرة من له العز والشرف [2]

اما عن الشريف الزهار فانه أشاد بمآثر الداي محمد عثمان العمرانية قائلا: "وله مآثر حسنة منها بناءه عدة أبراج للجهاد، وأولها برج سردينية، والبرج الجديد،وبرج راس عمار بناه في قتاله الأخير مع الصبنيول، وكان أهل البلاد يذهبون ويخدمون هناك بأنفسهم يبتغون بذلك وجه الله ويرجون ثوابه فمن حسناته هذا الباشا رحمه الله انه أعاد بناء ذلك المسجد العتيق وجدده أحسن تجديد وكساه باعراض الخام الأبيض ومن خيراته انه أتى بماء الحامة للبلاد"[3] .

كما امتدح ابن سحنون المنشاة العمرانية لمحمد الكبير بمدينة معسكر وأشاد بها قائلا:

انظر رعاك إله الخلق واعتبر لمسجد رائق قد لاح للبشر

متوج بالبها بالحسن مشتمل بالظرف مؤتزر باللطف مشتهر

[1] – الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار (رحلة الورثلانية)** ، مطبعة بير فونتانا الشرقية الجزائر، 1908، ص686.

[2] –محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق،ص 187.

[3] – احمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص24.

ويضيف منشدا شعرا في الدارالتي بناها محمد الكبير بضواحي معسكر واصفا إياه يسكنها ويرسم أوصافها بجميع مرافقها وبساتينها، وفي الكبير ذلك مديح للباي الذي كان مول وعا بالعمران فيقول:

أهذه هالة للبدر أم الدار ضاءت عليها من الأكوان أنوار
وألبسها يمين الصانعين حلي كأنها في السماء الحسن أقمار
أنظر لها وهي في البستان واقفة وحولها فيه أشجار وأ زه ار
أكرم به مترل رقت محاسنه كأنما عنده للهم أسرار
لو خير البدر في دار يكون بها ما غيره كان ذاك البدر يختار
فوق جميع ديار الأرض دارته بساكن حلها كالليث زائر
الجود منها نشى والحلم فيها نشى والخير منها مسلسل وخرخا ر

كما أشاد كذلك أبوراس الناصري لمنشآت هذا الباي من وصفه للمحكمة التي بناها في الأبيات التالية:

فلله مبناها الجميل فإنه يفوق على حكم السعود يمانيا
تمد لها الجوزاء كف مصافح ويدلوها بدر السماء مناجيها
هي القبلة الغراء عز تطيرها ترى الحسن فيها المدار المضاهيا
بها معمر حاز إليها وقد عدا بها القصر فاق المباني مباهيا [1]

وفي الأخير نستنتج من جهود الحكام العثمانيين في مختلف المجالات قد لقيت الكثير من التنويه والإشادة لدى المصادر المحلية خلال الفترة الممتدة (1512-1792) م وذلك حفاظ الحكام العثمانين على بعض التقاليد الإدارية التي كانت سائدة بالمجتمع في الأرياف والحواضر وكذلك من

[1] – احمد بن السحنون الراشدي،المصدر السابق،ص 128،129 .

السلطة وشيوخ القبائل ورؤساء العشائر وبغض النظر عن هذه الجهودات، إلا انها كانت بعض المصادر تغض النظر تجاه العثمانين في الجزائر والمتمثل في نظرة الاستياء لهم.

3- نظرة الإنتقاد إلى السلطة الحاكمة:

لم يكن هناك من الناقمين والمستائين إلى السلطة الحاكمة في الجزائر إلا القليل فأغلب المصادر التي كانت تشيد وتنوه بهذه السلطة فكانوا إما موالين للأتراك أو موظفين عندهم لذا نجدهم يصورون القضايا إلا بما يرضى الهيآت الرسمية، أما عن غير الموالين للأتراك ، فلقد عبروا عن إستيائهم تجاه السلطة العثمانية في مؤلفات شعرية اثرية من بينهم المنداسي الذي كان من أشد الناقمين لسياسيتهم في تلمسان وهاجر إلى المغرب وعاش في بلاط الملوك العلويين وصب كامل غضبهونقمه عليهم في القصيدة التالية يتهمهم بتهم شنيعة:

أمن قادر بالله يحمي تلمسان فإن بها من قوم يا جوج إخوانا

بنى السد ذو القرنين للناس رحمة فياليته من شوكة الترك هنانا

فما دب فوق الأرض كالترك مجرم ولا ولدت حواء كالترك إنسانا

عتوا وإسفكوا المسلمين من القرى وقد عبدوا حمر الدنانير أوثانا

وأكبر سيء أفسدته أكفهم تلمسان عين الغرب من علما وإيمانا [1]

و لم يكتفي المنداسي في ذم الأتراك فقط ، بل بمن ولاهم من العلماء وساند سياستهم وبكل من وقف إلى جانبهم قائلا في هذه القصيدة التي هجا فيه ابن زاغوا وهو شيخ تلمسان ومفتيها لما وقف مساندا للأتراك:

فمنهم قرين السوء مفنى بلادهم تود العباد الترك كانوا ولا كانا

قفل لإبن زاغوا الضلال أئمة تدبر لحاك الله ما قال مولانا

[1]- احمد بن سحنون الراشدي، المصدرالسابق، ص 58،59.

ولا تركنوا والركن منك سجية كأنك لم تسمع من الله قرآنا
فإن أمير الوقت بالأمر قائم وأنت جليس السوء في زي هامان.
أتهدم دار العلم في خانك الذي تبيت وتضحى فيه ويحك سكرانا
فأنت لسان الترك والسف لاقط تسر ويمضي السيف قولك إعلانا
لقد كنت حبرا بالمدينة صالحا فصرت بها أخا القراميط حمدانا
قتلت فحول العلم صبرا و لم تزل على عهد المعلوم في الزيغ هامانا
ألم تعلم أن الله بالترك قادرا وأسرع بطش منك لو كنت يقطانا [1]

كما نجد نفس التذمر والإنتقاد للسلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر لدى شعراء الذواود ة[2] حيث ظلت قبيلتهم على العثمانيين، فخلدوا أثار أقادها أمثال علجية بنت بوعزيز بوعكاز التي قاومت الأتراك بكل قوة وتدل هذه الأبيات على بطولتها وشجاعتها:

قصة طراد شاو الزمان يا حضار بنت بوعزيز سيدة الرجالة
طاحوا اليوم سادات في الحروب أبدان أهل العلوم يقروا من الحمد للبقرة
يندهوا إلى أشياخ القومان مع الترك الخداعين يا حسرة [3]

وفي نفس الصدد نجد إبن السويكت الشاعر الشعبي والشاعر السويدي فقد سجل عدة معارك خاض غمارها مع الأتراك كان كذلك من أشد الناقمين على الحكم التركي ، وذلك إثر

[1] – سعيد بن عبد الله المنداسي، المصدر السابق، ص ص87، 89.

[2] – **الذواودة:**وهي قبيلة من الشرق الجزائري كان قائدها محمد بن الصخري بوعكاز العلوي الهلالي ثاروا ضد العثمانيين فقتل هذا الأخير وثأر له أخيه أحمد الصخري في ثورته 1047هـــهذه الثروة المنطقة الواقعة بين حدود تونس إ لى حدود دار السلطان تسيت في سقوط عدد من الباشوات، أنظر : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 216، 217.

[3] – نفسه ،ص 217.

إخضاع لقبيلته سويد[1] بالقوة فقال شعر ينتقد فيه الأتراك، ويشير إلى طمعهم في إخضاع موطن قبيلته سويد التي يتباهى ببطولتها وشجاع ة رجالها يوم واجهوا الأتراك وأرغموا على الإنسحاب خائبين ومن هذه الأبيات:

على أرهيو وعلى ج ديوي[2] كارسين — الترك جوف والسويد جاو للقبلة
خيمة مع أخبا وبنود متقابلين — من الصبح للمساكل يوم مقتله
الترك جاروا السويد طافحين — والترك شاربين لهبال في سلطة
الباي قد شور ليهم — وسويد ليه زادوا حملوا
أرفد سناجقو ولحقهم — عمدو وللقتال أو قتلوا
جايا لعراج بيده بالمستحين — أحنا السويد وأهل النقار بالجملة
أحنا أهل الشنا وأحنا اللي طايغين — أحنا أهل الطبل والعلام والصولة
أداكم الطمع في أمطافل أمتمق نين — وأسويد ما يطيعوا الترك قتالة
الترك للبلا د يتر ادوا — أسويدما أعطوا الصفحة
ظهروا الشوايع أسويد قعدت متورخين — ملكوا الشرق والغرب تل والقبلة

اضافةإلى ذلك لخص الشاعر سبب هذا التمرد، وإختيارهم للإستماتة في المقاومة دون الرضوخ للأتراك الطامعين في أخضاع موطنهم شلف في بيتين فقال:

[1] – **السويد:**وهي قبيلة من القبائل العربية التي لعبت دورا عظيما في تاريخ البلاد، وكما إحتال العثمانيين الجزائر كانت لهم إمارة بتنس تمتد من قبر الرومية شرقا إلى مصب نهر الشلف غربا، قرب مستغانم، وكان مواطنهم إبتداءا من القرن7هـ ما بين العطاف شرقا إلى مستغانم وقد شاركوا في حروب بني مرين مع بني زيان، فتارة ينتصرون لهؤلاء وتارة لؤلئك، أنظر: أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 38.

[2] – **ارهيو:**هي مدينة (وادي أرهيو) منتصف الطريق بين غليزان والأصنام ،و جديوية: قرية شهيرة غربي وادي أرهيو بنحو 10 كلم، انظر: نفسه، ص 39.

قالوا الترك ندو (شلف) لا وهمة قلنا لهم جدودنا في الواد

نتركوش(شلف) في تطيب الصمة ما وما نهدوش العقبة على الأولاد[1]

وكذلك جاء على لسان الورثيلاني يشير إلى الثورات التي عرفتها الجزائر في عهده بنظرة المغمر في حديثه من رحلته الحج: "وصلنا إلى مقامنا ودارنا ليلة الجمعة وليلة العيد ويوم عرفة عام (1181ه) فسألنا الله التوبة الصادقة .... والعصمة من الفتنة فإن أشر الشرور في وطننا الفتنة والقتال بينهم، فليس أمر من هذا".[2]

كما نجد عبد الكريم الفكون متذمرا كذلك من سلوكات أحد المدعين للولاية والصلاح في عصره، حيث يبرز ظاهرة كانت متفشية وهي ظاهرة الرشوة فيقول: "وتراه تمشي زبانيته بين يديه لتفريق الرشا على الحكام والأمراء، فتسمح نفسه يبذل مائة لأولئك ولا ترقاد لدفع درهم واجب عليه".[3]

وفي نفس الصدد نجد إبن حمادوش ضمن رحلته عن إستخدام الوساطة في التهرب من المكس[4] يقول: "... إلى يوم الإثنين، فتحت دكاني وكنسته وجلست فيه بعد صلاة الظهر في الجامع الكبير، وكان لي تلميذ، إبن عم تي، يصطحب مع خوجة الملح، وكان إذاك علج الباشا إبراهيم، فطلبت منه أن يطلب من صاحبه إجازة سلعتي، فنزل إليه وجلس عنده حتى وجهتها له هنا، فأدخلها مخزنه وبعثها مع أحد خدامه فلم يمسكه صاحب الباب فسلمت من المكس[5]".

[1] – أحمد بن سحنون، المصدر السابق، ص 39،40.

[2] – الحسن بن محمد السعيد الورثيلاني، المصدر السابق، ص 111.

[3] – محمد عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 123.

[4] – **المكس:**خزينة دار السلطان تسمى كذلك ضريبة خير الدين تتراوح مابين 150 إلى 300 ريال بوجوا، أنظر: أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 56.

[5] – عبد الرزاق حمادوش، المصدر السابق، ص 111،112.

وهذا دليل على إنتشار ظاهرة الوساطة عند الحكام العثمانيين هذا وهو محل تذمر السكان في فقد الإنصاف بينهم، ولقد تحدث الورثيلاني عن هذا الفساد الذي كان متفشيا في مدينة بسكرة "وقد سمعت أن القاضي والمفتي فيها لا يتولى إلى بإعطاء لهم وإرتشاء لديهم، وكذا في غيرها من عمالة الجزائر".

ويضيف قائلا في إستيلاء الحكام والإعتداء على أوقاف هذه المدينة: "غير أن الأتراك إستولوا عليها إستيلاء عظيما، وكان من المدارس والأحباس التي لا توجد في الأمصار هي في أيديهم يأكلون منها وينتفعون بها أتم إنتفاع كالأملاك الحقيقية المباحة، بل هي ليست لهم، ولا أنهم من أهلها، بل تمردوا وطغوا، جعلو جميع الخطط الشرعية لهم ظلما وعدوان"[1].

ولقد كان سبب الإستيلاء إفتقارهم إلى سند يؤازيهم أحاطوا أنفسهم بالحذر والخ وف من السكان أن ينتزعوا منهم السلطة فإحتكروا المناصب والوظائف السامية.

ونستنتج كذلك من نظرة الإستياء هذه من بين العوامل التي أدت إلى نفور بعض الفئات الجزائرية من الخضوع للحكام يعود لنظرهم الى الاتراك العثمانيين على أنهم غرباء وأعاجم عن الأصالة العربية وشرافة النسب التي تخول لهم السيادة على العالم الإسلامي.

وفي خاتمة هذا الفصل نستخلص أن نظرة الإشادة والإستحسان من خلال المصادر المحلية وما ورد من مؤلفاتهم خلال الفترة المتدة (1512-1792م) غير البعض منها تعود إلى مجموعة من العوامل يمكن تلخيصها فيما يلي:

1. إرتباط الوجود العثماني في الجزائر بمساعدة الأندلسين ونقلهم إلى البلاد المغاربية.
2. سرعة إستجابة العثمانيين لنجدة الجزائريين.
3. إرتباط الوجود العثماني في الجزائر بالجهاد البحري ضد المعتدين من النصارى.

[1]– عبد الرزاق حمادوش، المصدر السابق، ص 111، 114.

4. الحركة الجهادية المستمرة للعثمانيين في سبيل تحرير المدن الساحلية الجزائرية من الإحتلال الإسباني إلى غاية إفتكاك وهران والمرسى الكبير من أيديهم.

5. المعاملة المتميزة التي حظي بها أعيان الجزائر ومشايخها من المرابطين ورجال الدين والمثقفين وزعماء القبائل عموما لدى الحكام العثمانيين.

6. الجهود المبذولة في مجالات الامن والرعاية العدل ومحاربة الفساد.

7. عدم تدخل الحكام العثمانيين في فرض عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم ومذهبهم الحنفي على السكان، مراعاة للإستقرار والإنسجام والتعايش معهم.

كانت الجزائر منذ أن ألحقت بالمملكة العثمانية سنة 1518م، موضوع اهتمام بالغ ودراسات المتواصلة وأبحاث مختلفة من طرف الغربيين، و لم يحظى قطر من أقطار شمال إفريقيا بما حضيت به الجزائر من إنتاج أدبي وتاريخي وعسكري [1]، فلقد أدى انضمام الجزائر للدولة العثمانية على مدار ثلاثة قرون متتالية وظهورها على مسرح الأحداث الدولية، والمتوسطية خاصة، ونجاحاتها البحرية المتتالية التي كانت تحققها في صد الحملات الأوروبية للاهتمام الأوروبيين بها ،رغبة في التقرب منها لسبب أو لأخر، وفعلا فقد أتاحت الحروب والمبادلات التجارية والجوسسة والعلاقات الدبلوماسية وافتداء الأسرى، وحب المغامرات ، لسكان أوروبا فرصا سانحة للتعرف على الجزائر والكتابة عنها أو حادثة وقعت بها، وبذلك تنوعت مؤلفاتهم من مذكرات إلى تدوين رحلات برية وبحرية إلى وصف مدن زاروها وعادات لسكان عايشوها .

فكثير من الباحثين الغربيين أقاموا بمدينة الجزائر أو طافوا خلال البلاد الجزائرية أو خدموا حاشية البايات والدايات، فكانت ملاحظاتهم مباشرة ومعلوماتهم التي عبروا عنها في مؤلفاتهم ذات أهمية دون شك، أما القناصلة الأوربيون الذين كانوا يشغلون مناصبهم في مدينة الجزائر فقد دونوا ذكرياتهم وكتبوا الحوادث عاصروها ، أو كانوا قريبين منها ، ورأوا أشياء لها صلة بالجزائر، فكانوا على خبرة جيدة لحوادث ومشاكل عدة، ومراسلاتهم وتقاريرهم كانت ذخيرة لا تنفذ من المعلومات[2]، وعليه نورد بعض ما جاء في هذه الكتابات الصادرة عن رجال الدين وقناصلة وأسرى ورحالة عاشوا في الجزائر، وعرفوا عنها وعن حكامها وسكانها الكثير من الحقائق تبرز من خلال ذلك نظرتهم للوجود العثماني بالجزائر .

[1] – مولاي بلحميسي، **موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني** ، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5، الجزائر 1988، ص101.

[2] – جون وولف، المرجع السابق، ص149.

1 -نظرة الانتقاد إلى السلطة الحاكمة :

إن المتتبع للمصادر الغربية التي تتناول الجزائر خلال العهد العثماني ، يلاحظ شبه تطابق في وجهات نظر كتابها ، فهذه المصادر ركزت في معظمها على بعض المسائل التي يظهر بها الاستياء للأتراك، خاصة فيما يتعلق منها بالقرصنة والأسرى ونظام الضرائب.

1/1 - الغزو البحري أو القرصنة:

نجد كتابات غربية كثيرة لا تخلو من التعرض لها كثيرا ،فالجزائر بمؤلفاتها "حجر اللصوص وعش الصعاليك وجحيم النصارى، وجمهورية قطاع الطرق وحكام البلاد، وغيلان إفريقيا وهم أهل استبداد، معدوموا الأخلاق، همهم الوحيد هو طلب اللذة ونهب الأموال، وأما رياس البحر وعظماء البحرية فهم وم تعطشون للدماء وهم رعاع القوم وحثالة الأتراك وهم القراصين الناهبون"[1]

و هذا ما جاء على لسان وليام شالر وهو يصف الجزائريين في العهد العثماني بنظرة المنتقد والمستاء من القائمة على القرصنة بقوله :"و الجزائريون الذين يقوم نظامهم السياسي على القرصنة يمنحون لأنفسهم حق إعلان الحرب على دولة مسيحية لا تشتري رضاهم بمعاهدة" [2]، ونفس الشيء يذهب إليه فون مالتسان وبنفس النظرة في وصفه للجزائريين" ولكنهم مارسوا القرصنة إلى ابعد حد،فكانت هذه تمد رؤوسها كثعبان الهيدرا المتعطش للدماء نحو جيرانها في حوض البحر الأبيض المتوسط ،فأصبح لزامها عليهم أن يدفعوا لها الإتاوة، وأن رفضت دولة من الدول دفع هذه الضريبة المهنية، فعليها أن تتوقع أن ترى عاجلا الكثير من أبنائها يقادون إلى عبودية المسلمين" [3] ويصفهم غراماي بنظرة الناقم حقدا بأوصاف دنيئة جاء فيها "أن هؤلاء نهاب البحر مثلهم كمثل

---

[1] – مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص103.102.

[2] – وليام شالر، المصدر السابق، ص 63.

[3] –فون مالستان، **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، تر: أبو العيد دودو ،ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص47.

الحيوانات المتوحشة ينقصون على الغنائم وهم يصرخون بكل شراسة ثم يستولون على السفينة وما احتوته طمعا بالثروة حتى ولو كانت السفينة لأحدى الدول مرتبطة بمعاهدة معهم"[1]

أما هايدو يصف نشاط هؤلاء القراصنة بقوله : " كان القراصنة الجزائريون يبحرون أثناء الشتاء والربيع ويطوفون في البحر من الشرق إلى الغرب ساخرين من سفننا التي كان بحارتها في ذلك الوقت يتسلون باللهو والقصف في الموانئ، وكان القراصنة يعرفون أن السفن المسيحية الثقيلة هذه لا تستطيع أن تحمل بمطاردة سفنهم الخفيفة وأن تمنعهم من والنهب السرقة "[2].

ويقول كذلك غراماي :" مدينة الجزائر ذلك السوط المسلط على العالم المسيحي ، أنها رعب أوروبا ولجام ايطاليا واسبانيا وصاحبة الأمر في الجزر "[3].

غير أن بعض الغربيين يخالفون هذه الكتابات ويردون مزاعم أصحابها ومن هؤلاء جوزيف مورقان الذي يشيد كثيرا بحكومة الجزائر وشعبها وماضيها وحاضرها قائلا :" إ نه من حق الجزائر أن تدعي القدم والشرف معا، ومن حقها أن تحتل مكانة بارزة بين أنبل مدن العالم، إنه من حق الجزائريين أن يكونوا شعبا بحريا قويا، أليس كل قادة أوروبا ينشدون صد اقتهم ويتوددون إليهم ؟ فهم شعب يعقد السلام ويعلن الحرب مثل الأمم الأخرى، وهم دائما في وضع يفرض على غيرهم احترامهم وتقديرهم، إن الجزائر مشهورة بحكومتها القوية وأنها قد وفقت أكثر من قرنين ضد هجومات كثيرة... "[4]

لاشك أن السر في التشهير بالقرصنة ،يعود إلى مضايقة الأسطول الجزائري للأساطيل الأوروبية التي لا ترتبط بمعاهدة الجزائر، وبروز تفوقه عليهم في حوض الأبيض المتوسط فالبحرية

---

[1]-abdel Hadi ben mansour, op,cit,p11.

[2] - digo de haedo ,**topographie et histoir général dàlger**, tradution : de dr monnereau et a berbruger présentation de jocelne dakhhia, edtion bouchene ,1998, p213.

[3] – وليام سبنسر، المصدر السابق، ص 14.

[4] – جوزيف مورقان، **الكامل في التاريخ** ، نقلا عن سعد الله، مجلة الأصالة ،العدد: 08، إصدار وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1972، ص 32.29.

الجزائرية" كانت لها اليد الطولى في البحر الرومي، وكانت بعوثها وغوازيها كثيرا ما تسم الثغور الإفرنجية بالخسف والدمار...." [1].

فنشاط القرصنة لم يكن سوى نشاطا عاديا في زمانه كما يعبر أحد المؤرخين الغربيين : " ووجود هذه العناصر (يعني بهم الأسرى) مرتبط بظاهرة انتشرت في المتوسط لذلك العهد، وفي حرب السباق والقرصنة الحقيقية... فإلى نشاط القرصنة يرجع إذن وجود العبيد في البلاد المسيحية، كما في البلاد الإسلامية، أولئك العبيد الذين يصبحون بدورهم موضوع مبادلات ومتاجرة "[2]

وفي صدد القرصنة نجد وليام سبنسر تكلم عن هذه الأخيرة على أنها لم تشمل الصراع البحري بين المسلمين والمسحيين فحسب، بل كانت القرصنة تدور أيضا بين المسيحيين أنفسهم وعليه لم تكن القرصنة حكرا على الجزائريين فحسب، بل كانت كل الأمم تتعاطى القرصنة إلا أن هناك دول أبدعت وأتقنت القرصنة كبحرية الجزائر مفندا في قوله : " جعلت القرصنة من الجزائر قوة قاهرة في المنطقة الغربية للبحر الأبيض المتوسط خلال القرن (17/16) م، فلم تكن مدينة الجزائر مرعبة للأمم والشعوب المسيحية أكثر من رئيسيها الأسمى –الباب العالي – فقط ولكنها استمرت توحي بجو من الإجبار والرهبة خلال فترة طويلة لتدهور القوة العثمانية "[3].

2/1- مسألة الأسرى :

لقد أسالت قضية الأسرى المسحيين الكثير من الحبر في العالم الأوربي، حيث كانت الموضوع الرئيسي والسهل لأغلب الأعمال الأدبية والأوربية وتعرف بأدبيات الأسر والفداء وقد لخص القس هايدو معاناة الأسرى المسيحيين بمدينة الجزائر في هذه العبارات :" يعيش الأسرى في الجزائر

[1] - الأمير محمد، المصدر السابق، ص 126.

[2] - سلفاتوري بونو، **وضع الجاليات الأوروبية في المغرب العربي قبل الاستعمار** ، العدد 25، مجلة الأصالة، إصدار وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1975، ص145.144.

[3] - -وليام سبنسر، المصدر السابق، ص 9.

البربرية حياة بائسة، أقسى من أي حياة أخرى في العالم، حيث يعاملون معاملة لا إنسانية أننا هنا لا نجني إلا الأشواك التي تؤلمنا وتدمينا، ونحن رعايا بائسين لا نجني حياة وإنما بلاء ...فهذه الوضعية أفقدت بعضنا الفرحة والبعض الآخر والهدوء والسكينة وبعضهم الثروة أو الصحة ونزعت منهم الشرف والكرامة والشجاعة والشهرة .. . وبعض الأحيان تحدث كوارث يذهب ضحيتها أصدقاؤنا ومنهم من فقد إخوانه، أبائه وأبناءه ... إن الأسر قد صعب ومشؤوم "[1].

لقد كان هايدو من اللاذع والناقد للسياسة التي كان ينتهجها الحكام العثمانيون في الجزائر بشأن الأسرى يضيف قائلا : " تمكن حسن باشا في شهر أوت من عام 1558م، خلال مواجهة للكونت دالكواديت حاكم وهران في معركة مستغانم ، من اسر أحد عشر ألف اسباني وتم استخدامهم كعبيد. "، ويضيف كذلك أن العلج علي الذي كان تحت أمرة حسن باشا كان يستخدم أحيانا مابين 500 الى 2000 مسيحي في شتى المهام ."، ويصف بعض الأشغال اليومية للأسير، فيقول: ومن بين العديد من المسيحيين يوجد من يحملون الأخشاب على أكتافهم تلك التي قطعت من جبال شرشال أو من جيجل ويواصلون العمل من الصباح إلى المساء في صنع المراكب وآخرون منشغلون بصنع الحبال وصهر الحديد والنحاس دون أخذ أدنى وقت للراحة " [2].

وهذا ما أكده سيمون بفايفر ، الذي وقع أسير في الجزائر بعدما كان طبيبا يقول :"كانت وظيفتنا تتمثل في تنظيف القصر وغسله بالماء، واشتعال النار في المطبخ وذبح الغنم والدجاج وتنظيف البقول والخضر وغسل الصحون وجميع الأدوات المترلية، وكذلك القيام بالأعمال المترلية كلها بصورة عامة"[3]

أما الأب دان ، فانه كان يصور حالة الأسرى المسيحيين في الجزائر بأوصاف مزرية تشير التذمر من السلطة الحاكمة مستنهضا أبناء عقيدتهم من اجل تحريرهم، ومن ذلك قوله:"في عام

[1]- digo de haedo ,**de la captivite a alger**- tradtion: molion villoer- ra tome 41 opu, alger, 1985 ,pp13- 15.

[2]- digo de haedo,(**topographie**) OP ,CIT ,P 213

[3] -سيمون بفايفر، المصدر السابق، 18.

ألف وست مئة وواحد ثلاثين 1631م امسكوا على مئتين وسبعة وثلاثين 237 شخص، رجال ونساء وأطفال وجئ بهم إلى الجزائر، و عرضوا للبيع و أبعدت النساء عن أزواجهن والأولاد عن أبائهم، و هاهي بنت تنتزع من أحضان أبويها دون شفقة دون رحمة، لئلا تراهم إلى الأبد، وقد عرفت في الجزائر الكثير من العبيد من هذا العدد الذين لم يجدوا أي مسيحي يدافع عنهم بالسلاح واللذين لاحجة لديهم لإنقاذ شرف البنات وكثير مكن النساء واستلموا الهمجية البربر"[1]

والأب دان الذي كلف نفسه مهمة افتداء الأسرى و تحريرهم من أيدي الجزائريين، كان يجتهد كثيرا لتحريك عواطف جميع القوميات المس يحية لتساهم في هذا العمل، وما يؤكد ذلك قوله: "يوجد ما يربوا خمسة وعشرين ألف مسيحي اسر ... مع ما يزيد على مأتي امرأة بعضهم اسبان، وايرلانديين وايطالين ويونانين، وقليل من الفرنسيين ... يشغلون في البساتين المحيطة بمدينة الجزائر، والتي تعد بنحو خمسة عشر ألف بستان في خدمة الأرض، ويجهدونهم بضربات العصي، ويقدمون لهم وجبات اقل من تلك التي يقدمونها لخيولهم...."[2]

و ينوه كذلك في بيع الأسرى ايمانويل دراندا قائلا : "ساقونا إلى السوق المخصص ليبع المسيحيين لبيعنا، [3]وكان الدلال شيخا قوي البنية ويحمل في يده عصا امسك ذراعي ثم قمنا بعدة دورات في السوق ، والأشخاص الذين كانت لهم رغبة في شرائي سألوا عن موطني، وعن اسمي وعن مهنتي، وقد أجبتهم كذبا إنني مولود في دونكيرك (dunkerque) عوض أن أقول إنني انحدر من فلندر، ومهنتي جندي فلمس يدي ليعرف ما إذا كانتا خشينتين من جزاء القيام بأعمال شاقة ،وفوق ذلك جعلني افتتح فمي لكي يرى أسناني حتى يتعرف على مدى قدرتها على مض غ البسكويت على متن الغاليرات ، بعد ذلك أمرنا بالجلوس واخذ الشيخ أول من فرد من مجموعتنا

[1]- pierre dan ,**histoire de barbarie et de ses corsaires imorimeerie et librairie du roy** ,paris 1637, p 313.

[2]- سيمون بفايفر ،المصدر السابق،ص 18.

[3] -انظر الملحق رقم 4 ص 111.

من ذراعه ومشي معه ثلاث أو أربع مرات حول السوق وهو يصرخ من يدفع أكثر ؟ بيع الأول منا واحد إلى الطرق الأخر في السوق، وأعيدت الكرة مع أسير أخر من المجموعة." [1]

أما عن غراماي الذي اخذ نفس النهج للأب دان لتحريك العواطف المسيحية بندائه هذا "إلى من هم مع تحرير ثلاثة آلاف أسير مصيرهم العبودية .... أن يضعوا ذلك ضمن أولوياتهم [2]" كما نجد بعض المصادر الغربية أعطت الصور السيئة التي كان يعيشها الأسرى المسيحيين في أيالة الجزائر، وكيف كانوا يجبرون على ترك دينهم واعتناق الإسلام وهذا ما أكده لوجي دي تاسي في قوله: "قد يحدث أحيانا وفي بعض الحالات أن يجبر الأسير على تغير دينه إذ افترق جريمة لا تمس بالدين لإسلامي أوباستقرار الدولة الجزائرية وأمنها حتى ينجو من الموت كما أن الأطفال الصغار، الذين تقل أعمارهم عن العشر سنوات يقوم مالكوهم بتغير دينهم ليجعلوا منهم أفراد صالحين في المجتمع اعتقادهم بأنهم يقدمون خدمة جليلة لله سبحانه وتعالى ويتم إدخال هؤلاء الأطفال الصغار إلى الإسلام عن طريق ختنهم، وجعلهم ينطقون بالشهادتين موجهين الس لية اليمني نحو السماء، وإذا استعصى عليهم النطق بالشهادتين يقوم بذلك مالكوهم بدلا عنهم، وتتم هذه الحفلات بسرعة كبيرة للحيلولة دون بيعهم افتدائهم، أو إرجاعهم إلى قناصل بلدانهم الذين يطالبون بهم". [3]

وقد جاء في مذكرات غراماي خلال القر ن 17 م ما بين (1609 - 1919)م وفي مملكة الجزائر وحده تحول إلى الإسلام 857 ألماني، و300 انجليزي، و130فرنسيا، و60جنوي، وهولندي و250بولوني، ومجري، وروسي،و130بلجيكيا، وقد ذكر أسباب اعتناق الأسرى المسيحيين للإسلام ضمنيا عندما صنف العلوج إلى أربع فئات اخذ دوافع اعتناق كل فئة للإسلام معيارا لهذا الصنف مشوها صورة العثمانين في التعامل مع الأسرى .

---

[1] -emmanuel d àranda ،**relation de la captivité du sieur emanuel dàranda** ,jadis escalave a alger ,p 156 , 157.

[2] - abed el Hadi ben mansour ,op, cit ,p 178.

[3]- laugier de tassY،**histoire du royaume dàlger un diplomate français à alger en 1724**, edition loysel-paris 1992 ،p 62.

الفئة الأولى : وهي الأكثر من حيث العدد، حيث تضم عناصر من مختلف الأمم والمناطق وهي المجموعة التي أسلمت رغبة في الحصول على امتيازات الجيش أو ثروات القراصنة .

الفئة الثانية: هي التي أسلمت بدوافع الخوف من التعذيب وضربات العصا من جهة وبدوافع الملل من حياة السجون واليأس من الحصول على الحرية من جهة أخرى.

الفئة الثالثة: هي فئة المغرر بها تحت تأثيرات وضغوط متعددة.

الفئة الرابعة: هي الأقل شانا من حيث العدد وتتكون من أفراد بسطاء جهلاء، هذا إضافة إلى الأطفال الذين يؤخذون عنوة من الأراضي المسيحية، حيث يسهل إدخالهم في الديانة المسيحية لأنهم يتميزون بالبراءة أو السذاجة .[1]

أما الأب دان يقول: " البعض يصل إلى هذا الهدف أي إدخال الأسرى المسيحيين للإسلام باستعمال الضرب والتعذيب ، حيث يلقي الأسير على الأرض ويتعرض إلى ضربات قوية وقاسية من طرف سيده، تتراوح ما بين العشرين 20 والثلاثمائة 300ضربة على المستوى البطن وتحت تأثير الآلام يعلن إسلامه عن غير قناعة " .[2]

أما عن هايدو أن سبب تحول الأسرى الأوروبيين عن الديانة المسيحية إلى الإسلام في قوله :"هي عند بعضهم الرغبة في التخلص عن الأعمال الشاقة التي كانوا يقومون بها في حياة العبودية وعند البعض الأخر الشوق إلى تذوق طعم الإحساس بحياة الحرية ، وكل ذلك بسبب الإغراء الممارس عليهم من طرف المسلمين بتقديم الهدايا وإبراء الكرام اتجاههم" ،[3] في هذا الصدد نجد كذلك جيمس ولصن ستيفنس وصف العقاب الذي يتعرض إليه الأسرى حيث يقول: "فالأسرى المسيحيون عرضة لكل أنواع العقوبات[4]، فأحيانا يحرقون أو بالأحرى يحمرون أحيانا ... ويتم هذا

---

[1] - abed el Hadi ben mansour، op cit، p 103، 104

[2]- pierre dan، op cit، p 345.

[3] -digo de haedo**,(topographie)** op cit، p 497.

[4] -انظر الملحق رقم 05،06،07 ،ص114،115،116.

العقاب حتى تكون الجريمة في النهاية في رهان حاد ، يطعن المذنب... يقتل صلبا وغالبا ما توضع الأيدي والأرجل نحو الأسوار، لكن العقوبات الشنيعة تمارس على اليهود والمسيحيين الذين يسيئون للإسلام فأما أن يصبحوا مسلمين أو يحرقوا ، وان ارتدوا بعد ذلك فيحرمون احياء أو يرمون إلى الأسفل من أعلى أسوار المدينة وعلى عقافات حديدية، تمسك بعظام الحنك والأضلاع أو بأجزاء أخرى في الجسم [1]"، ويضيف قائلا في معاملة الدايات للأسرى الأمريكيين يقول: "خضع الأسرى الأمريكيون إلى سلسلة التعاسة التي تخجل الإنسانية من ذكرها ومباشرة بعد وصولهم إلى الجزائر، توجهوا فورا قصر الداي ووضعوا في طابور طويل خلف القصر الاجتياز اختبار قاس حضر الداي ومعه طباخة مر، وأعاد المرور أمامهم .... اختار منهم عددا من الغلمان والأصغر سنا .... اسند إلى بعضهم مهمة تنظيف الغرف والى بعض الأخر غسيل الثياب والى آخرين مهمة خدمة الداي، والاعتناء بحجرة ملابس ، انصرف بقية الأسرى بينما كانوا ينصرفون من الحضرة الملكية خاطبهم الداي قائلا:"اذهبوا الآن بي كلاب وكولوا الحجارة."، بعدها تمت مرافقتهم إلى سجن البايلك حيث يقيمون في مختلف الغرف وسط الأسرى القدماء، وزود كل أسير ببطانتين خشنة النسيج لسريره ترك الأسرى في هذه المنطقة الكئيبة من التعاسة والقهر وسط خشخشة السلاسل وصراخ الأم الإنسانية ... وحوالي منتصف الليل....دخل الحارس إلى جمع الغرف ووضع في كل رجل سلسلة تزن ما بين 30و40 رطلا[2].[3]

إن تعامل السلطة الحاكمة في الجزائر مع الأسرى المسيحيين أو الأحرار منهم ، لم يكن بالصورة المرعبة التي اعتمدها بعض الغربيين في كتاباتهم، إذا لا يمكن بأي حال مقارنته بتعامل الأوروبيين مع تجارة الرقيق التي كانوا يمتهنوها .

[1] - جيمس ولصن ستيفنس ، **الأسرى الأمريكان في الجزائر (1797/1785)**م، تر: على تابليت، منشورات ثالة، الجزائر ،2007، ص178.

[2] -جيمس ولصن ستيفنس ،المصدر السابق،ص 72 ،73.

[3]-انظر الملحق رقم 08 ص 117.

3/1- مسالة الضرائب:

إن مسالة الضرائب كانت محل اهتمام الكثير من الكتاب الغربيين ، فكان أبرزها جليا في معظم التأليف التي تثير بنوع المبالغة والتضخيم ومعاناة السكان من جرائها ، وعدم التنازل عنها وأخذها بصورة منتظمة عن كل الممتلكات ، وإعفاء الأتراك من دفعها حسب ما أكده غراماي بقوله: " نجد الأتراك ضمن كل الميادين النشاط، معفون من كل الضرائب ومن كل الرسوم... "[1]

أما شالر ما جاء في قوله: " .... والبايات وحكام الأقاليم هم المسؤولين عن جمع الضرائب، وبواسطة أعوانهم من العساكر والشرطة يستحوذون على كل ما يقع تحت أنظارهم من أموال الشعب".

من خلال ما قدمه شالر الفترة الأخيرة من الوجود العثماني في الجزائر التي شحت فيها مداخيل الخزينة، وعرفت البلاد أثناءها نكبات من الخارج والداخل ، فان الفترات التي سبقتها لم تكن كذلك، حيث لم تكن الإضراب سوى رمزية وبشكل غير مستمر في وقت كانت فيه خزينة الدولة مزدهرة .بمداخيل الجهاد البحري وغنائمه ولا تتعد الأصناف التالية :العشور، الزكاة الخراج[2]، الجزية وهناك ضرائب محلية كالحكور واللزمة والغرامة والخطية وهي عادة ضرائب مستحدثة لضرورة أو لغرض اجتماعي ."[3]، هذا ما أوضحه فيدرمان في قوله " .... اللزمة هي ضريبة استثنائية يدفعها الأهالي للمساهمة في نفقات الجيش في حالة الحظر ، كما ادخل العثمانيون ضريبة أخرى تدعى " الغرامة" التي تدفعها قبائل الرعية وهي تسببت في تمرد القبائل ، كما استحدث ضرائب أخرى كانت تقدمها القبائل عند مرور المحلات على أراضيها فصل الربيع وتسمى الضيفة أما ضيفة الباي والتي يحددها هو بنفسه كانت تختلف من قبيلة إلى أخرى إضافة

[1] -abed el hadi ben mansour , op,cit.p,107.

[2]- **الخراج**:تدفع على الأراضي لغير المسلمين قد طبقت تدفع على الأراضي لغير المسلمين قد طبقتها العثمانيون بالجزائر ، انظر ناصر الدين السعيدوني،(**النظام المالي للجزائر**)، المرجع السابق، ص 118.

[3] –وليام شالر، المصدر السابق، ص116.

إلى العوائد، التي تقدمها قبائل الر عية مرتين في السنة ، أما القبائل الرحل ففرضت عليهم الضريبة تدعى الحصة .[1]

و نتيجة لهده السياسة الضريبية كان دي غراموا يقول :" أن كل مادة منتجة قابلة للدفع لم تفلت من نظام الضرائب المطبق في الايالة"

ما يؤكد كذلك هذا القول فايسات " الحكور هي ضريبة نقدية تقدر 25 فرنك لكل قطعة ارض صالحة للزراعة للحرث خلال الموسم، أي ما يعادل 15 هكتار، العشور تعطى عن زراعة الحبوب والأعلاف الغرامة تقدم نقدا من القبائل البعيدة عن محاكم الإقليم، عن الخيول والمواشي والإبل.[2]"

أما ما جاء على لسان لوجي دي تاسي : " كان الداي أو الباي كان عند ما يحتاج احدهما إلى المال من اجل دفع رواتب الجنود أو من اجل حاجات ملحة، فانه كان يطلب المال الضروري من أثرياء الحضر أو اليهود، و عندما يرفض احدهم الدفع فانه كان يضرب ويدفع غرامة" [3]

أما عن جيمس ولصن يقول: في استخلاص الضرائب من الأهالي " يجمع القائد ومعه مفرزة من الجنود كل الضرائب الواقعة على مساحة عشرون ميلا المحيط ة بالعاصمة، أما ما وراء ذلك فالداي له قوات عسكرية تركية تتركب كل قوة من حوالي 200 شخص، وتعزز عند الحاجة... لغرض السلب واستخلاص الضرائب بالإكراه، ويضيف قائلا : " فهم لا يعملون بالعدل وبالإنسانية بل يعملون لمساعدة المستبدون الأتراك، فهم لا يجبرون الأهالي على الخضوع للداي بل يجبرون الأهالي على دفع مثل هذه الضرائب، كما يحددها هم فهذا الجنس التعيس من البشر، وهم مصدر كل إساءة واستبداد على الطبيعة البشرية ، فهما يصطادون مثل الحيوانات الوحشية وسط الجبال أولئك الرافضين لدفع الضريبة وما يحدده الباشوات من ضريبة، يفرون جشع مطارديهم ،

[1] -fedrman, **aucapitaine moticesur l histoire et ladministration du titten** INR.A.N10 , 1867, p313.
[2] -abed el hadi ben Mansour op,cit, p210
[3] -laugier de tassy , op, cit, P 202.

لكنهم في الغالب تقطع رؤوسهم وتصادر ممتلكاتهم وان شك ، هؤلاء الوحوش في مواطن انه أخفى جزءا من أمواله، فانه يعذب عذابا شديدا... بهذه الطريقة يقومون بجمع الضريبة مرتين في السنة كدليل بين على ولاء الباشوات في استخراج الضرائب، و يطلب الداي أن ترسل له الرؤوس المقطوعة في ضواحي المدينة، أما الذين قتلوا بعيدا فيكتفي برؤية اذنهم. "[1]

وفي هذا الصدد يقول: تيدنا في حملته على الاغواط وعين ماضي سنة 1785م حيث ذكر " على بعد أكثر من 200 مرحلة جنوب معسكر، خرج الباي بجيش يتكون من 15الف رجل وفي أثناء الحملة تمكننا من أخذ ومعاقبة 14و15 دورا والذي لا يصدق، رغم الحقيقة أننا تحصلنا على 67 ألف رأس ماشية و5 ألاف جمل و653 بغلا و720 بقرة وثورا ... والباي في طريق عودته باع كل هذه الغنائم ووزعها على الجيش وقبائل المخزن" [2]

أما عن كاثكارث ، في ذكر عن مسالة الضرائب :"لقد كان الحكام يتوقفون عن زيادة الضغط على السكان بإرغامهم على دفعها دون مراعاة لظروفهم ويقول عن صالح باي قسنطينة في يوم اعتراض طريقه خادم عربي من بلدة قسنطينة يطلب منه بقشيش فقد رمى صالح باي بقطعة نقود إلى القسنطيني قائلا: " خد سو ف ابتزها من مواطنيك كما تبتزها أنت مني "[3] .

ويظهر من خلال مقولته هاته أن رده كان لشيوخ قسنطينة ال ذين قدموا شكاوى عن إرهاقهم بالضرائب، وقد أدى هذا الأسلوب في التعامل إلى انعزال الحكام عن غالبية السكان والى عدم تجاوب اغلب ممثلي الشرائح الفاعلة والمتمثلة في زعماء القبائل وشيوخ الزوايا مع الإدارة المحلية، بل وصل هدا الوضع في بعض الجهات إلى إعلان العصيان والهاجرة والتمرد.

ويمكن القول أن سياسة التشرد في الضرائب كانت سببا وراء قيام الثورات والتمردات .

---

[1]- جميس ولصن ستيفنس، المصدر السابق ، ص175 ، 176.

[2]– عمراوي حميدة ،المرجع السابق، ص 58.

[3] كاثكارث، المصدر السابق ،ص52.

4/1- علاقة العثمانيون بالسكان:

كان الأتراك العثمانيون بما فيهم الاعلاج والكراغلة يشكلون إحدى الجماعات في المدن الجزائرية ،أن تضيف هده الفئات في جماعة واحدة يعود إلى تجانس أفرادها، وتقاربهم في العادات والتقاليد، وك ذا اشتراكهم في الطموحات والأهداف ولقد كان وضعه م في الجزائر أفضل من الفئات الاجتماعية الأخرى وهو ما يستخلص من قول احد الأسرى الأوروبيين الذين عاشوا في الجزائر في مطلع القرن 17م إذ قال غراماي: " أن الأتراك يستفيدون من نظام امتيازي في قضية الإرث ويتولون وظائف هامة في الانكشارية والبحرية وتعود إليهم وظائف المدينة وكانوا يمتلكون أراضي بضواحي مدينة الجزائر وسهل متيجة، وأصبحوا يشكلون عصبة حقيقية بفضل الامتيازات التي يجنونها من وظائفهم والمكانة الاجتماعية التي يتمتعون بها "[1]

و ما جاء على لسان جيمس ولصن ستيف نس: " فسكان العاصمة فاسقون جدا وه ذه ملاحظة عامة انه كلما كانت المسافة ابعد من العاصمة إلا وتجد أصالة في سلوكهم .... فالأتراك الذين تشكل منه م القوة العسكرية لهم امتيازات كبيرة فهم لا يدفعون الضرائب ومعفون من العقوبة العمومية فابسط جردي يهيمن على معظم أعيان الأهالي لإشباع رغبته فالسكان خاضعون لحكم الطاغية المطلق ويمارس قمع من فئة قليلة من الأتراك الواقعيين الذين رفضتهم شوارع القسنطنطنية، وان وجد تركي أهلي راكب على حصان أفضل من الحصان التركي فان الأخيرة يأخذه من أول مرة عنوة..... فالأتراك هم الوحيدون الدين لهم امتياز حمل الأسلحة النارية فه ذا مثل الاستبداد الجنود الأتراك فهم لا يبعدون الأهالي عن طريقها في الشوارع بل يذهبون إلى بيوت المزرعة في الريف للبقاء هناك مدة عشرون يوما أحرار بدون دفع أي مقابل ويقومون بأي شيء يقيمون في مساحات واسعة يتولى رعايتها وتنظيفها العبيد على النفقة الدولة، فجيش الداي يتكون

[1]- ارزقي شويتام ، **المجتمع الجزائري فعاليته في العهد العثماني** ، 1519 ،1830م ، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه في التاريخ الحديث المعاصر، قسم التاريخ ، الجزائر2005،2006، ص114.

أساس من جنود الأتراك الذي يطلق عليها اسم الانكشاريين ومع أنهم عدد قليل فهم يستبدون الأهالي على امتداد كامل البلاد".[1]

و هدا ما يؤكد عليه وليام شالر في معاملة السلطة الحاكمة إلى القبائل أنها كانت غير مستقرة ويقول: " ... ولكن القبائل ينقسمون إلى عدد كبير من الجمهوريات التي تنهشها حروب مستمرة والحكومة التركية تعمل على إذكاء نيران ه ذه الحروب وتشغل ميل القبائل إلى الشقاق لتزيدهم انقساما وتفريقا حتى تضمن لنفسها السيطرة عليها.... والأتراك يعرفون روح الاستقلال والتصميم فيهم بحيث أنها تكتفي في حالة الحرب معهم بالإحراق والتخريب في أراضيهم وبذلك يضطر القبائل إلى عقد الصلح معهم ، واكبر القبائل وأشدها باسا تقطن في جبال قسنطينة ... والأتراك في حرب دائمة مع القسم الذي يشرف على البحر من ولاية قسنطينة الذي يقطنه القبائل ... ومن شدة عدوانهم للترك يعتبرون كل أجنبي يقع في أيديهم تركيا، ولا يكتفون بتجريده من ممتلكاته بل يقتلونه أيضا."[2] ويضيف قائلا:" كما أن الأتراك العثمانيون يتميزون من جهة أخرى بالعف والصرامة ولاسيما اذا تعلق الأمر با لهم بامتيازاتهم وقد قيل عنهم . " أنهم في العادة جديرون بالثقة في كلمتهم كما أنهم يتصرفون بالأدب واللياقة والإنسانية في معاملتهم اليومية ولكنهم حين يجدون أنفسهم في الحياة السياسية يكتشفون وحشية نادرة .[3]

و ما قاله عنا :"أن العثمانيون في الجزائر كانوا اشد انعزال امن المجتمع الجزائري، بالقياس إلى غيرهم من أتراك الأقطار العربية التي خضعت للحكم العثماني . "ربما يعود ذلك إلى بعض الاختلاف في العادات والتقاليد ونمط معيشة المجتمع المشرقي الذي ينتمون إليه مع عادات وتقاليد المجتمع الجزائري المغربي، مما لا يسهل التلاحم والتعايش بين العناصر المختلفة.[4]

[1]–جيمس ولصن ستيفنس، المصدر السابق، ص 156.

[2]– وليام شالر،المصدر السابق، ص 115،116.

[3] – نفسه، ص 54.

[4] - عميراوي أحميدة، المرجع السابق،ص 93.

وما استخلصه ويليام شالر في معاملة حكومة الأتراك للأهالي في النقاط التالية:

-أنها حرمت العنصر الأهلي من العرب والقبائل من كل فرصة لشغل المناصب في الحكومة ما عدا البحرية والاشتراك في إدارة الشؤون بلدهم.

_ أنها حرمت تجارة التصدير على الأهالي فما عدا ثلاث أو أربع مواد تبيع احتكارها لليهود وذلك خشية ازدهار التجارة والإنتاج وتدفق الثروة على الأهالي.

2 -نظرة الإشادة والاستحسان إلى السلطة الحاكمة :

بالرغم من تحامل معظم الغربيين على سياسة الحكام العثمانيين في الجزائر، فان ذلك لم يمنع البعض منهم من التغيير بل والاعتراف بكثير من الايجابيات التي ميزتهم حتى وأن كانوا من الناقمين عليهم والتي نورد بعضها، كما جاءت في كتاباتهم مقتصرين على عرض العينات منها المجالات التالية:

1/2- التسامح الديني :

توجد إشادة من طرف لوجي دو طاسي في تأليفه بقوله:"لكي أقدم نبذة عن ماضي المملكة وثوراتها، بل عن حاضر حكومتها، اكتب عما رايته وما اطلعت عليه في الأماكن، وما وجدته في الذكرات،و ما لاحظته في منازل المسيحيين عن التسامح الديني ما يلي:"توجد حرية الديانة لكل الأجانب، توجد كنائس وأباء "رجال الدين"، بل كل الديانات تحضي بالحماية، والاحترام الذي يلقاه المتدين معبرا... ويقدر ما يشتهر عندهم الإنسان بالتدين إلا ويرتفع قدره عندهم ويحترمونه ويحمونه...و الجزائريون يقولون المسيحي السيئ لا يمكن أن يكون مسلما جيدا. "[1]

يقول سلفاتوري بونو وهو من المؤرخين الغربيين المعاصرين منوها بالاندماج السريع للفئات المسيحية في المجتمع الجزائري :"نجد في إطار الواسع المتنوع الذي تمثله أي مدينة بربرية تجمعا أخر

[1]- laugier de tassy ,op, cit ,p 03.

من أصل أوربي، لكنه عميق الاندماج بالمجتمع الإسلامي، أي أولئك الذين نبذوا الديانة المسيحية واعتنقوا الإسلام ... لكنهم فعلوا ذلك على العموم عن طواعية واختيار... فكانت المدينة البربرية تترى لهؤلاء باسم الإسلام، عالما من التسامح والمساواة والحرية، لقد كان اعتناق الإسلام، يدمج في العالم البربري وفي مساواة تامة، رجالا يأتون من بلدان أوروبية مختلفة، فقد كانت تتاح لهم إمكانية الاعتناء السريع والارتقاء في سلم المراتب الاجتماعية، واحتلال حتى أعلى مناصب المسؤولية في الحياة السياسة والعسكرية للايالة .[1]

وما يلحوا عليه بالإشادة حول رجال الدين والقساوسة، خاصة أصحاب الثالوث المقدس، في افتداء الأسرى وتأدية مهامهم والتزاماتهم هناك.

بالإضافة إلى ما جاء به لوجي دو طاسي مبرزا ذلك بالإشادة : "أخطا الكثير مما يعتقد بان الأسرى يكرهون على الدخول في الإسلام، سواء عن طريق الترغيب أو الترهيب" وذلك لسببين:

السبب الأول : يرتبط بالأغراض المادية، حيث أن الأسرى الذين يعتنقون الإسلام يقابلون عادة ،بالرفض من قبل بلدانهم حتى ولو كان إسلامهم مشبوها لهذا فحظوظهم بالفداء قليلا، ضف إلى ذلك فالأسير العلج اقل ثمنا من الأسير المسيحي [2].

السبب الثاني : بعيدا عن الأغراض المادية (اقتصادية)الملك المسلم المتسامح مع الدين المسيحي كان يرى بان مسيحيا سيئا سيكون مسلما سيئا، لذا فان معظم الأرقاء البالغين لم يقع عليهم التأثير بتغير دينهم إلا نادرا، وإنما راج ذلك بين الأطفال الذين تقلوا أعمارهم عن الثاني عشر سنة الذين كانوا يشترون من قبل الملاك الأكثر ثراء، حيث لا يدخرون جهدا بتربيتهم ورعايتهم وتناشئتهم تنشيئة إسلامية على أساس أن ذلك ا لعمل يرضى الله [3].

[1] – سلفاتوري بونو، المرجع السابق،ص ص148 -152.

[2]- laugier de tassiy ,op ,cit, p 62.

[3] – جون وولف، المصدر السابق، ص225.

ويضيف الأسير الأمريكي مبديا احترامهم للأصحاب المستشفى المسيحي الإنساني المتواجد في الجزائر كان له دور اجتماعي حيوي وذلك مفندا في قوله: "أن هذا المستشفى يعتبر من اكبر المؤسسات الخيرية في العالم حيث انه يقدم رعايته في جميع الأسرى دون أن يأخذ في الاعتبار عقائدهم وطوائفهم الدينية وقومياتهم، وأي مصير كان يواجه العبيد الذين وقعوا ضحايا وباء الطاعون لولا وجود هذه المؤسسة التي تستقبلهم عندما يهتك المرض قواهم وصحتهم نتيجة الأعمال الشاقة، ويعود الفضل في هذا العمل الإنساني إلى هؤلاء القساوسة الذين يسمحون حتى للعبيد الذين لم يصابوا بالمرض حقيقة وإنما هم مصابون بالعياء والإرهاق، ليبقوا في المستشفى أسبوعا أو عشرة أيام ليسترخوا ويجدد قواهم[1]، مادام هذا المستشفى تابع إداريا لمستشفى الجزائر، فنحن لا نستبعد أن يكون إحسان المسحيين في هذا المجال قد شمل المرضى المسلمين الجزائر أيضا ،هذا بناءا على بعض المعطيات السابقة .

- عدم وجود مؤسسات استشفائية ذات أهمية تذكر خاصة للمسلمين الجزائر .

- كثرة الأمراض والأوبئة مما يجعل أمر العلاج ملحا وضروريا وبالتالي التوجه إلى المؤسسات المسحية، قال سلفاترو بونو:" لقد كان الأسرى الأوربيون بالجزائر امنين على أرواحهم وكانت بسجونهم معابد صغيرة لها قساوسة، كان لها ملجأ للعجزة وحانة للشرب مع احترام عطلة يوم الأحد فكان بمدينة الجزائر وحدها خمسة كنائس خاصة بالأسرى، واحدة بالسجن الملك الباشا وأخرى بقنصولية فرنسا والأخرى نيابة أسقفية الجزائر وكانت هذه الكنائس كلها تزين بشتى أنواع الزنا وعندما تقام الاحتفالات الدينية بهذه الكنائس يدخل رهبان الإرساليات إلى سجون الأسرى لإقامة الصلوات في الصباح الباكر، أما في أزمنة الوباء فيقيم هؤلاء لرهبان بالاستمرار في المحتشدات من اجل معالجة الأسرى وتلقيهم العقيدة عند الموت."[2]

[1] -كاثكارت، المصدر السابق،ص 103.

[2] -عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص361 ،362.

2/2- معاملة الأسرى :

يشيد وليام شالر ذاكرا بقوله:" وعلى الرغم من أن استرقاق المسحيين في الجزائر قد ألغى منذ سنة 1816م فاني أرى من الواجب أن أقول كلمة عن المعاملة التي كانت تنتظر المسيحيين البؤساء الذين يلقون هذا المصير، لقد ألغيت قرصنة الأفراد في عرض البحر منذ خمسين سنة، وبعد هذا التاريخ كان الأسرى يعتبرون عبيدا للايالة، وقيل ذلك كانت سلطات الايالة دائما تحميهم من الأذى ومن سوء معاملة الأهالي، وانه لمن الإنصاف القول بان حالتهم هنا لم تكن أسوء من أسرى الحرب الذين يقعون في أيدي البلدان المسيحية المتحضرة.

-فان الأسيرات كن دائما يعاملن بالاحترام الذي فرضه جنسهن والإشغال التي كان يطلب إلى الرجال القيام بها لم تكن مفرطة المشقة والأسرى الذين يجدون كفيلا لهم يضمن عدم هروبهم كان يسمح لهم بحرية الخروج إلى حيث يردون في مقابل دفع مبلغ 75 سنتيم في الشهر.

ـ والواقع انه يوجد عدد من المناصب العليا التي كان يشغلها العبيد الذين كسب كثير منهم ثروات طائلة من ورائها، والعبيد والموظفون في القصر أو الملحقون بالشخصيات الكبيرة في الدولة يعاملون بأقصى اللطف.

وبصفة عامة فان كل عبد له ميل إلى الحركة والعمل، يجد الوسيلة لكسب رزقه وباختصار فانه وجد من العبيد من يغادر الجزائر وقلبه مفعم بالأسف والحسرة، وكثير من هؤلاء يحملون معهم أموالا طائلة عند رحيلهم عن البلاد"[1] .

ـ وهو ما يلي به جون باتيست وولف : " أن الحانات والمقاهي في مدينة الجزائر كانت كلها تقريبا في ملك وإدارة المسلمين الجدد المرتدين عن المسيحية (الاعلاج) أو الأرقاء المسيحيين الذين كانوا يدفعون لأسيادهم جزءا من الفائدة، وكثيرا ما أصبحوا هم أنفسهم من الأغنياء، و الواقع أن

[1] -وليام شالر،الصدر السابق،ص 99،100.

هناك قصصا عديدة من الأرقاء الذين رفضوا عروض تحريرهم أو فديتهم خوفا من فقدان أرباحهم التجارية .." [1]

وما يؤكد هذا القول أيضا، هو ما جاء في مذكرات سيمون بفايفر وهو أسير مسيحي ويشير بما تلقاه من معاملة في الجزائر محدثا ومبرزا ذلك عن نفسه بقوله :" كانت وظيفتي تنحصر في معالجة الوزير وغيره من أفراد القصر إذا أصيبوا بمرض فكان لي فائض من الوقت، كان الداي الذي يكن له الطبيب خاص، يستشيرني، كان يرغب في رؤيتي[2]"

و يضيف قائلا: "لكي أعود إلى الحديث عن حياتي الإسلامية المسيحية، عن حياة العبودية الحرة، ينبغي أن اذكر أن حياتي كانت هادئة، و لم أكن أشكو إلا من السام". بل أكثر من هذا، فانه يذكر لنا استدعائه من طرف بأي التيطري الذي عينه ترجمانا وخزندارا وطبيبا خاصا له وينقل لنا نص تعيينه كما أملاه الباي على المفتي الذي كان يصحبه، وفيه تنويه بالمعاملة التي خص بها كما يلي :

" نحن مصطفى بأي التيطري نأمربتعين حامل هذا المرسوم الحر خزندار وترجمانا وطبيبا خاصا لنا، ونعاهده على أن نبالغ في احترامه وأن نخلع عليه سنية ما اختار قرينا، وفضل البقاء عندنا، أن نسمح له بأخذ أمواله وترك خدمتنا متى شاء وأراد....[3]."

و في هذا تأكيد على حسن المعاملة للأسرى المسيحيين من قبل القائمين عليهم من لحكام العثمانيين في الجزائر،إضافة إلى قول وليام شالر : " صحيح أن العبيد يعانون في بعض الأحيان من نزوات ملاكم ومن سوء المعاملة من حراسهم، ولكنهم في ذلك يخضعون لقانون كوني عام، وهو

[1] – وليام شالر، المصدر السابق ،ص99 ،100.

[2] – سيمون بفايفر، المصدر السابق ،ص 29.

[3] –نفسه، ص47.

أن الرجل الذي يجد نفسه في قيد الأسرى، هو رجل جرد من وسائل الدفاع عن نفسه وحرم من أي نوع من الحماية " [1].

ـ وما يؤكد البيقوني في كتابه وهو يقدم رسالة لأحمد بأي، كتبها لشيخ مدينة عنابة وعلمائها سنة 1827م يؤكد فيها عدم اذاية النصارى وحمايتهم، ومراعاة حقوقهم وفي ذلك إشادة بطريقة تعامل السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر للمسيحين، تضمنت ما يلي :

" وأما النصارى الفرنصيص الذين في عنابة فاياكم ثم اياكم أن يتعدى عليهم احد أو يظلمهم، أو يضيع لهم شيء من مالهم، فان أرادوا المقام في عنابة فعليهم أمان الله، لا ينالهم مكروه، وأن ارادو الانتقال إلى بلادهم برضاهم وطواعيتهم فلا يمنحهم احد، ولا يتعدى عليهم ويرفعون مالهم وأمتعتهم عن أخرها، بحيث لا يضيع لهم شيء أصلا" .[2]

3/2 - انسجام السكان :

أن عدم مشاركة السكان في السلطة لم يكن يعني أن الجزائريين كانوا يعيشون في معزل عن شؤون البلاد وسياساتها بل كانوا العثمانيين يحرصون كل الحرص في محافظتهم على العلاقة التي كانت تربطهم بهم من خلال شيوخ القبائل والمرابطين، فكان بعض هؤلاء أكثر تأثيرا وارفع مترلة لدى السلطة الحاكمة ولدى السكان من البايات الذين يحكمون المقاطعات [3]وكان بأي قسنطينة لدى وصوله إلى الجزائر منصور الشريف وهو شيخ مرابط، ورئيس إحدى القبائل الكبرى في الولاية وبالتالي فهو يتمتع بسلطة روحية ودينية معا، على عدد كبير من العرب وتشمل سلطته قبيلة فليسة ومنطقة باب الحديد وما يليها في الاتجاه الشرقي، انه عربي ثري قوي السلطة وباب الحديد عبارة عن ممر ضيق، جدا في جبال الأطلس يقع تحت سيطرة العرب الجبلين والطريق الذي

[1] – وليام شالر، المصدر السابق، ص100.

[2] _ bigonet ,(u) **une lettre du bey de constantin en 1827** – r-a_ t 43 ,1899, Opu, Alger , 1985 ,p 176.

[3] - Rinn , L /m ,**le royaune dalger soule dernier dey** _ t 41 ,1897, opu. Alger, p 125.

يمر به بين الجزائر وقسنطينة يختصر المسافة ببضعة أيام بحيث لو وقع سوء تفاهم بين هذا الشيخ وبأي قسنطينة أو سلطات ايالة الجزائر ويستطيع أن يحمل أولئك العرب بحيث يضايقوا حركة المرور، جل ولربما خلقوا مشاكل لا تحل الاستعمال القوة العسكرية، وهذا التراع فضلا عن ما ينجم عنه من إراقة الدماء بين الطرفين سوف يحرم الأتراك من جباية الضرائب في هذه الأراضي الشاسعة، ولهذه الاعتبارات وغيرها، فان هذا الشيخ الذي يتمتع بمكانة دينية بين إتباعه ويملك ثروة كبيرة ونفوذا قويا، هو بمثابة (البابا) عند العرب ولا يجرا احد على أن يعطي له أمرا دون أن يعرض نفسه للهلاك.

و لهذه الأسباب كلها، قرر الداي والديوان الجزائري أن يعامل الشيخ منصور نفس المعاملة الممتازة التي يتمتع بها، الباي بحيث تتجنب الايالة كل ما قد يثير شكواه .[1]

فيه أصبح الحكام يحضون بمنزلة محترمة ويتواجبون بآرائهم ويرضخون لهم في كثير من الأحيان عندما يتطلب الأمر ذلك فكثيرا ما كان القائمون على السلطة في البلاد يتخذون قرارات تقضي بمراجعة الأوامر التي يصدرها البايات إذا ما أبدى هؤلاء الشيوخ رفضها مثال منصور الشريف الذي كان له دور كبير .

و هذا التطور يمثل دليلا واضحا على ما يتمتع به الحاج منصور شيخ القبائل العربية التي تقطن الجبال من النفوذ الاحترام لدى ديوان الجزائر معا[2].

بحيث لم تكن هناك هزة كبيرة بين الحكام العثمانيين وبين السكان بل كان الجميع يقف وقفة رجل واحد يوم ينادي منادى الجهاد ولمواجهة الغزاة... والدفاع عن حمى الجزائر[3] .

[1] – كاتلارت، المصدر السابق، ص99.

[2] – نفسه، ص124.

[3] – سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص64.

و يضيف ذلك وليام سبنسر عن هذا الانسجام بقوله : " لقد كانت العلاقة بين البايات والحكومة المركزية تعكس ما كان يوجد في الإمبراطورية العثمانية، وبالرغم من أن أوروبا كانت ترى الجزائر كدولة مشاغبة دائما على الحافة الفوضى والثورة، فان الحقيقة هي انه خلال ثلاثة قرون من وجود الايالة لم تكن هنا أية ثورة واحدة على المستوى الواسع ضد السلطة المركزية وقد اظهر الأتراك تفهما عميقا للتحالفات القبلية التقليدية في المغرب، امتص توظيف القراصنة والمساعدين العسكريين من السكان الأهالي العناصر الثائرة التي ربما كانت ستخلق حركة معارضة داخل البنية الحاكمة [1].

ــ والشيء نفسه يعبر عنه طاسي متعجبا بقوله :" يبدو مستحيلا أن مئتي عربي يقابلون تركيا واحدا ويرضون بالخضوع له ولا يقومون بأدنى مجهود لتخلص منه "[2]

وكذلك يؤكد شالر الشيء نفسه وهو بدور الذي عاصر السنوات الأخيرة للوجود العثماني يذكر في مذكراته بقوله : " أن المبادئ الأساسية التي يقوم عليها النظام الحكم في الجزائر، هذا إذا استثنينا أمورا علمتهم التجارب فيما بعد أنها ضرورية ".

و من الغريب أن أعضاء هذه العصابة يعترفون لأنه لا يوجد وطن لهم غير الجزائر حيث، يريدون أن يستقروا ويتركوا ذرية لهم .

و الواقع أن الإمبراطورية العثمانية نفسها لا يخلو تنظيمها الإداري والسياسي والعسكري من كثير من مثل هذه المظاهر الغريبة التي نمت بدون شك، نتيجة لفتوحاتها ولغطرستها القومية على الشعوب الأخرى ولتعصب الديني، ووجود الأتراك حيث وجدوا هو أشبه ما يكون بمعسكر بربري منه بدولة قائمة على قواعد سليمة، من هذه الزاوية تعتبر حكومة الأتراك في الجزائر نموذجا لحكم الشعوب الأخرى التي تنضوي تحت هذه الإمبراطورية والجيش التركي، المرابط في الجزائر

[1] – وليام سبنسر، المصدر السابق، ص86.

[2]-Laugier de tassy, op,cit,p 57

،قلما كان في الآونة الأخيرة يتجاوز خمسة آلاف جندي وضابط، وهو في الوقت الحاضر قد هبط عدده لأسباب معينة إلى أربعة آلاف .

و هؤلاء الجنود والضباط، هم وحدهم الذين يتمتعون بالحق لشغل المناصب الرفيعة في الحكومة ولتولي المهام الشرفية أو المريحة، وذلك فيها عدا البحرية، حيث تتاح الفرصة للجزائري، إذا أبدا كفاءة لان يرقى إلى أعلى الرتب العسكرية، ولو انه لاحق لهم في شغل أية وظيفة مدينة في الأسطول[1] .

ـ إن هذا العدد الضئيل للجند التركي في الجزائر يدل على قابلية السكان لوجودهم ولولا ذلك تم بسط نفوذهم على كامل القطر، ولما استمر حكمهم للجزائر ثلاثة قرون متوالية ولئن تخلل هذه العلاقة بعضا الانفصام أو الفتور بين الحين والأخر فهو شيء طبيعي في نظرنا.

2/ 4- رعاية الأمن والمحافظة عن المال:

ويشيد وليام شالر إلى جانب الإدارة التركية العامة التي مقرها العاصمة توجد حكومة محلية تشمل شيوخ البلد، أو الحاكم المدني وحامية أو قائد المليشيا في المدينة، وقول أغا، أو مدير الشرطة الذي يشمل إداراته مراقبة الحمامات ومنازل الدعارة، وجميع الموظفين في هذه الإدارة من الأهالي وأن اعتقد انه لا توجد مدينة أخرى في العالم يبدي فيها البوليس نشاطه اكبر، مما تبديه الشرطة الجزائرية التي لا تكاد جريمة تفلت من رقابتها كما انه لا يوجد بلد أخر يتمتع فيه المواطن وممتلكاته بأمن اكبر .

ونتيجة لاستمرار الرخاء والرفاهية في الجزائر سنوات متوالية تجمعت ثروة كبيرة في عدد من العائلات خصوصا بفضل محالفتهم ومصاهرتهم للأتراك[2] .

[1] – وليام شالر، المصدر السابق، ص51.

[2] – نفسه، 77 ،78.

ونفس الشيء أدلى به شاو قبله بقوله :" السراق يعاقبون بقسوة شديدة[1]. "

اما عن المحافظة عن المال من بين الأمور الجوانب التي ظهرت في الكتابات الغربيين والتي أشادوا بها هي محافظة العثمانيين في الجزائر على المال العام فهو من المحاسن التي طبعت وجودهم في الجزائر إلى أخر عهدهم فالحفاظ، على الخزينة الدولة والنفوذ عن تبذير أموالها شيء مقدس لديهم حتى في أصعب الظروف .

هو ما عبر عنه فونتير دي بإرادي، وفي تعبيره تنويه ومديح بتلك السياسة وأخلاقيات التعامل بالمال العام ،إذ يقول: " لا توجد دولة في الدنيا تقتصد في الإنفاق من خزينتها كدولة الجزائر، فلا تخرج من تلك الخزينة إلا الأموال المقررة، منذ عهد قديم .... وأن العائدات الثابتة للدولة تمثل المبالغ غير منتهية أكثر بكثير من حاجاتها."

و يصف الداي محمد عثمان بقوله: " من بين جميع الدايات الذين حكموا الجزائر لا يوجد بالتأكيد من هو أكثر اقتصادا وتقشفا من بابا محمد، فهو يعمل على توفير كل فائض في الخزينة"[2].

و قد أشاد به بفايفر في نفس الصدد تنويها بالمبادئ الأساسية المبجلة لدى الجزائريين ...و قد بدا في النهاية أن الناس لا يعرفون إلا أمرين مهمين كريمين هما القران وخزانة الدولة[3] "

و ما يؤكد هذه التصريحات هو ما كتبه الرحالة الألماني شونبيرغ واصفا نزول القوات الفرنسية الغازية للجزائر سنة 1830 فيقول" " أن أمير البحر والقائد العام قد نزلا يوم 7 جويلية إلى القبو لمشاهدة كومة الذهب والفضة التي كان علوها يبلغ ركبة إنسان وتحتل مساحة عشرين

[1] - show, Làlgerier un siecl avant làucuption français(au 18eme siècle) edition,umprimerie decarthage,paris,1968 ,p 102.

[2] – احمد الشريف الزهار، محمد عثمان باشا، المصدر السابق، ص163.

[3] – سيمون بيفايفر، المصدر السابق، ص110.

ذراعا، وكان الداي قبل يوم من ذلك ترأس اجتماعا درست فيه قضية الخزينة، التي قدرت بستين مليونا من الدولارات ..."[1]

5/2- تجسيد العدالة والإخلاص القوانين:

يشيد دي هايدو بمجهودات الحاكمة في تجسيد العدالة بين الجميع بمختلف عنصرهم وفئاتهم وفيقول: " لا يوجد أي مبرر شخصي وشرفي يؤدي إلى تفضيل هذا عن ذاك، الكل سواسية، التركي أو الجزائري ،اليهودي أو المسيحي، كان الأب قائدا أو خليفة، أو الباشا كل واحد يجازى بحسب ما اقترف ". [2]،و الشيء نفسه يؤكده لوجي دي طاسي وهو ينوي بطرق المحاكمة في الجزائر أيام الحكام العثماني فيقول: " المحاكمة المدينة أو الجنائية تتم ميدانيا دون كتابة ودون مناداة من طرف الداي، أو القاضي، أو رئيس البحرية، وتمدد المحاكمة لإحضار الشهود إذا كانت الأدلة المقدمة غير كافية أو كانت القضية غير عادية، يمكن لأحد أطرافها الاعتراض برفعها إلى الداي مباشرة الذي يمكن الاتصال به في شفافية طيلة ساعات اليوم ".[3]

كما يضيف ذلك بالإشادة وليام سبنسر بمدى حرصهم على حياة العدالة فيقول :" وتحت حكم الاوجاق فقد بلغت البلاد درجة عالية من الترابط الاجتماعي في حين أن دستور النخبة من الأتراك قد قوى احترام النظام والقانون التركي غرسها الإخوة بربروس في جماهير الشعب وكنتيجة لذلك فان الايالة عاشت في هدوء داخلي وأصبحت مدينة الجزائر أكثر موانئ البحر الأبيض المتوسط من حيث النظام وحسن السياسة تقصدها السفن المسيحية العائدة لمختلف الأمم فنجد في الايالة خلال أوقات السلم سلامة الإرساء أكثر مما قد يتوفر لها ذلك موانئها الأصلية .[4]

[1] - أبو العيد دود، المصدر السابق، ص51.

[2] - diego de haedo, (**topographei**), op ,cit, p 180.

[3] - laugier de tassiy, op ,cit ,p 146,147.

[4] - وليام سبنسر، المصدر السابق، ص 97 ،98.

كذلك "فان الفعالية الآنية لكل نظام اجتماعي تكمن في تطبيق قوانينه، وفي هذا الصدد فان الايالة الجزائر تحسم انجاز معتبرا أن التاريخ السابق لمنطقة في اتساع أوروبا الغربية لم يكن بها أي تواجد الحكومة أهلية مركزية، وأن حقيقة تواجد الدولة بها كانت قد اصطبغت بالمغارات التركية التي وجدت مجموعة السكان الغير خاضعة للقانون لتعطي هذا الانجاز معنى، نادر الوجود يمكن تفسير ذلك بإخلاص الأتراك المطلق للقوانين الإسلام وبطبيعة السياسة الذاتية للاوجاق، وكذلك بطبيعة حياد العدالة الجزائرية وبالحدود الموضوعية لمقاييس العقاب وأكثر من ذلك فقد كان التعلم والتربية معادلين للقانون وكان من التعارف عليه أن وظائف السلطة الشرعية يتولاها أولئك الأكثر أهلية، وبالتسامح اتجاه اليهود الذين كانوا قد تركوا للتحاكم أمام قضاتهم، وكذلك المسيحيين المتمسكين بعقيدتهم قد جعل التنظيم العدلي أكثر يسرا"[1].

اما عن الانضباط في العمل يشيد فونتير دي بإرادي بالانضباط الذي كانت تعرفه الحياة الإدارية في الجزائر أيام العثمانيين بما يلي : الحياة الجزائرية حياة جد وعمل صعب والأمر تشير بدقة مدهشة ومما يلفت النظر في دقة الأعمال الإدارية بالجزائر أن كل واحد من رجال الإدارة لا يشتغل إلا بعمله فقط والذين يشتغلون المراكز الكبرى في الحكومة هم أكثر اشتغالا وكذا من الآخرين حتى أن المرض الخفيف لا يعوقهم أبدا عن إتمام واجباتهم [2].

6/2- الالتزام بالأخلاق النبيلة :

لقد أشاد ديغو دو هايدو بالمواصفات السلوكية والأخلاقية التي كان العثمانيون يلتزمون بها من خلال سرده لحادثة عايشها في الجزائر تظهر مدى مراعاة الانكشارية لبعض المواصفات التي ينبغي أن تكون متوفرة يومها في الحاكم ،نسردها كما جاءت على لسانه " في شهر أوت 1579 م

[1] – وليام سبنسر، المصدر السابق، ص 127 ،128.

[2]- V,de paradis,**Tunis, et alger** , au 17 eme siecle,memoires et observations. Rassemblees,et presentes ,par , josepche couq , p.68.

أثناء تغيير الأغا، قام الانكشارية بأبعاد المرشحين الأربعة الأكثر اقدمية على أساس أن زوجاتهم عرفن بأخلاقهن وسلوكاتهن المنحرفة قبل الزواج [1].

و يضيف منوها ببعض السلوكات الايجابية التي ميزت سيرة الأتراك في الجزائر فيقول: " من بين الأوصاف النبيلة والعادات الشريفة، انه مهما اشتد بهم الغضب لا يتلفظون بكلمات كفر بل لا يوجد إطلاقا كلمات تركية أو عربية تسيء إلى الرب[2].

يضيف شاو قائلا:"الأتراك الجزائريون يتصفون ببعض الصفات الجيدة فحتى أسوءهم سيرة وأخلاقا لا يذكرون اسم الرب في جلسات السمر أو الجلسات العائلية."[3]

و يبيح تيدنيت قائلا أسير الباي محمد الكبير يمدحه بإبراز صفاه النبيلة فيقول عنه: " مملوء بالإنسانية وذو عقلية جيدة له معارف قلما تجدها لدى أبناء أمته، محب الأجانب[4] ."

إن هذه الصفات النبيلة التي ميزت الأتراك ميزة عامة السكان باعتبارها صفات متواجدة في المجتمع الجزائري بأكمله، وهو ما جاء في تأكيد فون مالتسان في حديثه عنهم :" يمتاز عرب الجزائر الحقيقيون عن الأوروبيون المقيمين فيها بما فطروا عليه من أدب ولطف وكرامة وحسن ضيافة ،و إذا يتيح للأوروبي المهذب أن يحظى بعشرتهم فانه لن يجد فيهم يمكن أن يسمى بسوء الأدب فالخياط العربي أو الحذاء أو أي صانع أخر يتصف في اغلب الأحيان بالنبل[5] ."

إذ نقول بان الكتابات الغربية بقدر ما كانت تحمل في طياتها من تحامل على الايالة الجزائرية وحكامها الأتراك، وما وجه إليها من انتقادات كالذي ذهبا إليه حمدان خوجة بقوله: " وينبغي أن أشير إلى إن هؤلاء الكتاب قد عالجوا ميدانا هو من غيره اختصاصاتهم ذلك إن الوصف

---

[1] - diego de haedo,(**topographie**), op, cit,p 73.

[2] ibid,p 196.

[3] -shaw, op,cit,p 107.

[4]- emerit , (m) , **le aventures des the denat eschaveet ministre,bey**, d afrique (12eme siecte) mimoir de the dant ecrites. Zurich en 1785_ r. A/ 1948op, v, alger , p 163.

[5] – فون مالتسان، المصدر السابق، ص101.

الطبوغرافي لموقع مدينة ما أو بلد معين لا يكفي للتمكن من الحديث منطقيا عن المصالح المحلية، بل لا بد من معرفة مناطق البلد ولغته إذ هؤلاء السادة لا يعرفون غير أسماء بعض الأماكن والجبال والسهول أو أسماء بعض القواد من ذوي النفوذ ورجال الدين، ومع ذلك يزعمون أنهم مطلعون على الأمور ويعرفون الأماكن والسكان معرفة جيدة[1] .

و نشير بما جاء به وليام سبنسر في مقدمة كتابه مشيدا بالجزائر كولاية عثمانية قوية ونشيطة بقوله : " وقد خلت دولة القراصنة التي وصفها الفرنسيون (بالفوضى) و(اللامسؤولية) ولاية تابعة للوطن الأم نشيطة وعاملة وأن (سوء الإدارة) التركية كان هو النغمة التي ترددت بشكل واسع كسبب أساسي للتأخر السياسي والاقتصادي، المنسوبين الشمال الإفريقي وقد أصبح من المحقق أيضا أن الجزائر كانت تشمل جزءا من الماضي الأوروبي المخجل الذي كان ملوك أوروبا المنقسمون والمتناحرون خلاله يتنافسون على الأراضي والشهرة وقرصان الجزائر يهجمون عليهم، وقد ذهبت نداءات أخر داي للاعتراف بدا ولطلب النجدة دون أن تلقى أي آذان صاغية ومات كمتقاعد غير مرغوب فيه لدى محمد علي " [2]

[1] – محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص158، 159.

[2] – وليام شالر، المصدر السابق، ص12،13 .

لا شك أن الدارس للعلاقات بين الجزائريين والسلطة العثمانية في أواخر العهد العثماني يتبين ويتضح له أنها عرفت تغيرا ملحوظا بالنظر إلى ما كانت عليه قبل تحرير وهران وما بعد التحرير فالعلاقات هذه تميزت بالانسجام والتعاون بين السكان والسلطة الحاكمة إلى حد ك بير في المرحلة التي سبقت تحرير وهران والتي تميزت بالجهاد ضد الغزاة الإسبان، وتحرير المواقع المحتلة، وصد المعتدين عن الجزائر .

أما في المرحلة الثانية فقد تميزت باتساع الهوة بين الحكام والمحكومين ، ذلك أن الجزائر قد استكملت حريتها من الاحتلال الإسباني، وتوقفت حركة الجهاد والرباط وتقلص معها النشاط البحري، وتزامن كل ذلك مع سنوات القحط التي أضرت بالزراعة في هذه المرحلة.

ولقد أردنا التطرف بداية إلى نوع من التفصيل إلى الأوضاع التي ميزت هذه المرحلة ، وكيف عالجت السلطة الحاكمة أزماتها ؟ و التعرف من خلال ذلك على نظرة المصادر المحلية إليها :

فيما يتعلق بما تميزت به المرحلة من الناحية السياسية : يمكن القول أن البلاد قد عرفت خلال هذه الفترة تدهورا كبيرا في الميدان السياسي حيث بدأت الأوضاع تسوء إثر موت الداي محمد عثمان باشا وتولي مقاليد الحكم الداي بابا حسن (1791-1798)م والداي مصطفى باشا (1798-1805)هذا الأخير الذي كثرت في فترته أعمال الاحتكار في القمح والحبوب من طرف اليهوديين بكري وبوشناق، وارتفعت الأسعار وانتهى الأمر إلى قيام فتنة شملت طائفة اليهود وتوالت بعد ذلك اغتيالات الدايات حتى تعاقب على الحكم خلال تسع سنوات ما بين (1805م-1814م) خمس دايات[1] فضلا عن الداي مصطفى باشا هم: الداي أحمد باشا (1805-1808م) الداي الحاج علي باشا 1809م، الداي محمد باشا 1814م،الداي عمر باشا 1814-1817م)[2].

[1] – احمد توفيق المدني ،**محمد عثمان باشا، داي الجزائر 1794/1799**، دار البصائر، الجزائر، 1972، ص ص56،58.

[2] – احمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص129.

هؤلاء قتلوا كلهم على أيدي العساكر، مما يدل على إنعدام الإستقرار السياسي الذي عاشته الجزائر في هذه المرحلة من الحكم العثماني، الشيء الذي أثر سلبا على الإستقرار الداخلي للبلاد حيث وجد البايات متسعا من الحرية في تصرفاتهم، فعاش بعضهم فسادا بين الناس وشاع ظلمهم للسكان، فكان هؤلاء يرفعون مظالمهم للدايات الذين بالرغم مما بذلوه من جهود لإزالة الفساد لم يغيروا من الوضع المتردي شيئا، إذ أصبح من العسر تحكم السلطة في أجهزتها المختلفة، مما انعكس سلبا على الأوضاع العامة للبلاد .

وأما ما تميزت به المرحلة من الناحية الإقتصادية، فلم يكن الوضع يختلف عن الوضع السياسي من حيث التدهور والتردي، بل عرف هو الأخر صعوبات لم تعهدها البلاد من قبل ذلك أن مداخيل البحرية قد تقلصت بسبب المضايقات الأوروبية، وعرفت البلاد سنوات متتالية من الجفاف، فأدى ذلك إلى قلة الإنتاج الزراعي، وإزدادت بذلك معاناة السلطة الحاكمة ومعاناة السكان معا، وتحولت المعاناة في النهاية إلى مأساة ساهمت بشكل كبير في إخفاق الجزائريين عند مواجهتهم للحملة الفرنسية الغازية سنة 1830م.

وأما ما تميز به الوضعان الإجتماعي والثقافي خلال هذه المرحلة فإن الأول قد تأثر بالوضعين السابقين،فأدى تفاقم الماسي التي عاشها السكان إلى اتساع الهوة بينهم وبين الحكام ومما زاد في اتساعهاغلاو الأسعار وانتشار المجاعات، وزيادة المطالب الضريبية مما أدى في نهاية الأمر إلى قيام التمردات والثورات ".

أما الوضع الثقافي فإنه بقي على حاله لم يشهد أي جديد إذ العناية به كانت محدودة من قبل وبقيت على حالها، خاضعة لبعض المبادرات التي يقوم بها بعض الحكام، وهي لا تتعدى كونها أوقافا، أو هدايا لبعض العلماء[1].

[1] – عبد الله العروري، **مجمل تاريخ المغرب**، ج 3، ط 1، بيروت، 1999، ص 76.

1/- نظرة التأييد والاستحسان إلى السلطة الحاكمة:

إن نظرة الإشادة والتأييد إلى السلطة العثمانية في الجزائر والقابضين عليها خلال الفترة التي سبقت التحرير الكامل للمواقع التي كانت محتلة من طرف الإسبان ، لا نفتقدها لد ى أي مؤلف معاصر لتلك الفترة، أو جزء منها على الأصح ولا نجدها هي الغالبة في مؤلفات أواخر العهد العثماني في الفترة التي أعقبت تحرير وهران ،لأن الحكام الأواخر بدوا وكأنهم مخالفون لمن سبقهم من الحكام لأن الدايات الأواخر صاروا يطلبون من الداخل وبقوة وشدة ما كان الأوائل من البيلربايات والباشوات والدايات الاوائل يحصلون عليه من الخارج بواسطة نشاط البحرية أساسا، بأسطولها القوي في الحوض الغربي للمتوسط .

وعلى الرغم من ان الكثير من المؤلفين المعاصرين مالو إلى ذكر مساوئ الحكم العثماني في هذا الموقف، أو هذا التصرف أو ذاك، فإن الباحث لا يعدم بعض الإشادات في المصادر المعاصرة المادحة والمشاكرة والموالية للسلطة العثمانية، لقيامها بهذا الجهد أو هذه المبادرة أو تلك، في عهد هذا الحاكم أوذاك، ولذالك ستكون نصوصهم محل استشهاداتنا على هذه الفترة[1] .

1 1في مجال البناء والتعمير :

كثيرة هي الإنجازات العمرانية التي شيدها العثمانيون في الجزائر خلال هذه الفترة فتناولتها المصادر المحلية بالذكر والوصف والمباهاة بها، والإشادة بصائعيها من الحكام سواء كانت حصونا أو قصورا أو مساجد أو غيرها .

[1] – احمد توفيق المدني ، المصدر السابق ،ص 138.

ومن ذلك ما أشاد به الشريف الزهار وهو يتطرق لبعض إنجازات الحاج علي باشا [1] ، فيعبر عن ذلك :"وكان الأمير قد بنى باب الجهاد بالمول ، و بنى المخازن التي بين البلد وبرج الفنار، وجدد قنطرة وادي الحراش وبنى قنطرة وادي شلف." [2]

ويضيف في ذكر المآثر العمرانية التي شيدها العثمانيون بالجزائر ، فيقول عن " عمر باشا "[3] :(بعث الامير لعماله بالبلدان وأمرهم بأن يبعثوا البنائين الذين عندهم، وأمر البنائين بالبلدان ان يصلحوا الابراج، وأضاف إليهم بناء العمالة عندما قدموا، وكان واقفا معهم، وهم يعملون ليلا ونهارا ، فلم ينقض شهرا حتى أصلح ما فسد من الأبراج، وبنى الجامع الأعظم وعاد كل شيئ لأصله)[4].

أما عن مصطفى باشا [5]، فيذكر عنه ما يلي: " أنه بنى بستانا بعين الربط، وبنى به دورا وقصورا وغرسه بجميع الفواكه والثمار ، (لا يزال موجودا وهو الآن جزء من قصر الشعب) ويدعى إلى ألآن دار مصطفى باشا"[6].

أما الإنشاءات العمرانية التي عرفتها السنوات الأخيرة من الوجود العثماني أيام الداي حسين فيشيد بها الزهار وينوه بصاحبها قائلا: "صنع طريقا لماء عين الزبوجة، واشترى مياها أخرى

---

[1] – **الحاج علي باشا**، في 15 المحرم الحرام سنة (1809/1815م)، كان وزيرا ثالثا يسمونه خوجة الخيل وهو يدعي الشرف سمعته من قدماء العارفين بمدينة الجزائر ويلبس عمامة خضراء إلى اليوم الذي تولى فيه، **أنظر**: أحمد توفيق المدني ، المصدر السابق، ص 130.

[2] – نفسه ،ص138.

[3] – **عمر باشا** : حكم في سنة (1814-1817م)، **انظر**:احمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص156.

[4] – نفسه، ص 156.

[5] – **مصطفى باشا** : في سنة م1797م ولما توفى حسن باشا تولى حفيده مصطفى الخزناجي وكان رجل صالحا، حليما محبا للعلماء وصلاحاء رحيما للفقراء والايتام وكان شجاعا ولما ستقر بالملك اولى اغا ويعرف خرنجيا كان هذا الخزناجي مبغضا للعرب محبا لليهود، انظر : احمد توفيق المدني ،المصدر السابق، ص94.

[6] – نفسه، ص107.

ضمها للماء الوارد على المدينة، فكثر الماء بها حتى أعلاها ،ثم بنى باب البحر وطبانة في الصنابجية وبنى جامع سفر ،ثم تهدمت بعض الصفوف بالجامع الكبير فبناها... "[1].

2/1- علاقة السلطة الحاكمة بالعلماء والمثقفين : أشادت العديد من المصادر المحلية التي عاصر أصحابها الحكم العثماني خلال فترة ما بعد استكمال التحرير ، بالعلاقة الطيبة التي بقيت تربط السلطة الحاكمة بالعلماء، وبالرغم من تأثر الوضع الإجتماعي للجزائر بتردي الأوضاع السياسية والإقتصادية التي سادت الفترة التي أعقبت تحرير مدينة وهران، حيث قل الأمن وفقد الإستقرار وساءت العلاقة بين السلطة العثمانية الحاكمة والسكان، و لم يستطع العلماء التوفيق بين مطالب الحكام المتزايدة للأموال من السكان عن طريق المضاعفة، وبين مظالم الرعية وشعورها بالإجحاف فوجدوا أنفسهم في حيرة من أمرهم وأصبحت مواقفهم تميل إلى الحياد في غالب الأحيان، ولكن دون التخلي عن واجبهم، في المحافظة على الدين والدولة معا .

فهذه رسالة من محمد بن الكريم بن الفكون إلى الداي حسين ردا على رسالة تلقاها منه تدل على هذه المواقف : ".... هذا وقد بلغنا بلغكم الله المنى ... كتابكم وفهمنا ما تضمنه الأشرف خطابكم مما شوش العقول وحيرالأفكار.... على أني مع كبر سني مشغول بخويصة نفسي، وما يعنيني من أحوالي في يومي وأمسي، لا أخرج من مضربي إلا للصلاة أو مذاكرة علم مع بعض الأبنات وليست ممن يستنشق الأخبار ويبحث عن الأسرار.... ،[2] ورغم ذلك بقيت مكانة العلماء مصونة عند معظم الحكام.

ينوه حمدان خوجة بحادثة عايشها بنفسه تدل على مكانة العلماء لدى الحكام العثمانيين، والمنزلة التي بقوا يحظون بها عندهم إلى أخر أيام حكمهم فيقول : "وقع في عهد حسين باشا إنني سأنقل حرفيا ما جرى أمامي في تلك الأثناء : لقد اشتكى بعضهم ذات يوم، للداي بأن القاضي

[1] - احمد توفيق المدني ،المصدر السابق، ص195.

[2] - جمال قنان، المرجع السابق، ص279،280.

لا يحكم بالعدل، وقيل له أنه أصدر حكما منافيا للقانون، لم يسبق لغيره من الفقهاء ورجال العدالة أن أوردوه، وبدلا من أن يعاقب المتهم دون الإستماع إليه، فإن حسين باشا قد طلب من القاضي في أدب أن يحضر إلى بيته حيث كان قد جمع سائر رجال القانون، ثم دعاه إلى تقديم الأسباب التي دفعته الى إصدار حكم ظالم، وأمر المفتي والفقهاء أن يتناقشوا معه في الموضوع، وان يطلبوا منه ذكر المادة التي جعلته يتخذ مثل ذلك القرار ولما تلكأ القاضي أجوبته، وثبتت الشكوى التي قدمت ضده، عزله الداي في حينه ونفاه إلى وهران "[1].

لئن كانت هذه الحادثة تدل على مدى مراعاة الحكام لمشاعر العلماء ومكانتهم بين الناس فإن تقديمهم في السفارات ونسخ المراسلات لأدل على هذه المكانة التي أشادت بها العديد من المصادر المحلية.

جاء في مذكرات الزهار عن الصلح الذي تم مع تونس أيام الداي أحمد باشا [2] :" ثم ان الأمير أمر الفقيه محمد العنابي، قاضي الحنفية، أن يكتب كتابا إلى حمودة باشا، فكتب الكتاب، وبعثوا به[3] "، ويتحدث عن الصلح الذي تم مع تونس أيام حكم الداي علي باشا ، فيقول : "ثم إنه في يوم من الأيام ظهر له أن يجعل الصلح بينه وبين تونس، فبعث إلى تونس الحاج يوسف من كبراء المماليك وبعث معه العالم العلامة الشيخ سيدي علي والباش كاتب، فلما وصلوا لتونس أنزلوهم ودفعوا المكاتيب لباي تونس وتكلموا في شان الصلح وبقي الأمر بينهم سرا.

ويتحدث عن إحدى السفارات الجزائرية إلى المغرب فيقول : "كتب الأمير عمر باشا للسلطان مولاي سليمان، وعين السيد الحاج محمد العنابي قاضي السادة الحنفية رسولا، فلما بلغ

[1] – حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 230.

[2] –**احمد باشا** : حكم ما بين 1220هـ/1805 يوم الجمعة جمادة الثانية 1220هـ اليوم الثاني من الخريف، انظر : احمد توفيق المدني ،المصدر السابق، ص121.

[3] – نفسه، ص125.

المغرب ودفع المكاتب للسلطان، أمر السلطان باستضافته [1]، وبعدما استراح مع السلطات فأحسن إليه، أعطاه مركبين من نوع كربيط، وبلا ندرة وأعطاه أموالا وأمر بتسليمها للمجاهدين، ورجع للجزائر).

لقد حاول الحكام المحافظة على علاقاتهم المميزة مع العلماء إلى أخر أيامهم شعورا منهم بأهميتها.

فهذا جواب من الداي إلى الشيخ الفكون ، ما جاء به الباي عبد الله (1804-1806) م مع قدومه إلى قسنطينة معينا على رأس بايلكها، وفيه إشادة وإعتراف من الحاكم بمنزلة هذا العالم ومكانته بين الناس، هذا نصه ،الحمد الله الأشهر الحيز الأنور مأوى القليلين وملجأ الضعفاء والمساكين سيدي الشيخ الفكون : "السلام على مقامكم الرفيع .... أما بعد فإنا نستكثروا (كذا)خيرك من شأن وقوفك وصيانتك للبلاد ونصحك وحمايتك للعباد، إن خيرك معنا سابق ... ثم نلتمس منكم الدعاء الصالح ... "[2].

وفي صدد أخر كتب الداي على رسالة إلى السلطان العثماني بينه فيها بوقوع الإختيار عليه على رأس إيالة الجزائر، وفي المراسلة ما يدل على الإشادة بمكانه العلماء ومنزلتهم مما يوجب إستشارتهم والأخذ بأرائهم في القضايا الهامة، جاء فيها : "... وعليه إجتمع العلماء والمشايخ والصلحاء والأغنياء والفقراء والأوجاق، ليتبادلوا الرأي فيما(كذا) سيتولى أمرهم، تماشيا مع المبدأ القرآني (و شاورهم في الأمر) ، لقد اتفق المجتمعون على عزل عمر باشا من منصب الداي وتعيين مكانه[3] .

[1] – احمد توفيق المدني ، المصدر السابق، ص ص، 158،163 .

[2] – محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص 72.

[3] – عبد الجليل التميمي، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، الجزائر وتونس وليبيا (1816–1871)**م، ط 2، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان، تونس، 1985، ص 151.

3/1- حفظ الامن ومحاربة الفساد والتصدي للثورات :

إجتهد الحكام العثمانيون طيلة السنين قضوها بالجزائر على حفظ الأمن والعدل ومحاربة الفساد والصيانة، وتتبع سيرة البايات وتقويم إنحرافاتهم بأشد العقوبات، لأن ذلك هو أساس الإستقرار ونلمس ذلك خلال الفترة الأخيرة من وجودهم ضمن هذه النماذج من الإجراءات التي إتخذها الدايات ضد بعض البايات الذين عاشوا بين الناس فسادا، وبلغ صداها الى الدايات الذين لم يألوا جهدا في الأخذ بهم، وكان موقفهم منهم إما القتل أو العزل، وهو ما جعل الكثير من تنوه وتبوح بهذه السياسة، ومن ذلك ما ذكره العنتري عن عبد الله باي (1804-1806) م "... رغم شجاعته وإقدامه في الحروب أمر الباشا بقتله عام 1221هـ لأن إمرأته تشاركه في الأحكام وذلك أمر قبيح عند العرب والأعجام".[1]

فقد جاء في كتاب بايات قسنطينة (المرحلة الأخيرة) مافيه إشادة بجهود الدايات في محاربة الفساد، وخاصة ما تعلق منها بإنحراف البايات.

يقول عن ولاية أحمد طوبال 1808م: "بعد توليه السلطة مدة ثلاث سنوات، وسبب مقتله أنه كان منشغلا بالزهور والطرب وترك الحكم لصهره، فعزل".

وعن محمد نعمان باي (1811) م: "كان مفرطا في الاحكام، وقد مس الكثير من الناس بأحكام الباطل، وأخذ ا لخطايا في غير موجب، مما جعل الناس يشتكون منه إلى الداي في الجزائر فأمر الداي بقتله وعزله وولى مكانه أ حد الصبايحية وهو محمد شاكر".

وعن ولاية محمد باي الميلي (1818)م: "...كان قائد العراسي، فلما و لى إشتغل بقتل الأعراب، والذهب في أرزاقهم، وبدع قطع الرأس بالشاقور حتى سموه الباي بوشطابية..."[2] .

---

[1] - محمد صالح العنتري، المصدرالسابق، ص74.

[2] - مجهول، **تاريخ بايات قسنطينة**، تق: حساني مختار، منشورات، دحلب، الجزائر، 1999، ص ص19، 22.

ويقول العنتري: " قليل العقل يظلم الناس يأخذ أرزاقهم بالباطل...صدر فيه الظلم والجور على الناس، فرفعوا شكاياتهم إلى الباشا (كذا) الجزائر فحينئذ عزله بهذا السبب"[1].

لقد حاول الدايات وعلى الرغم من الفترة الحرجة التي كانت تمر بها البلاد المحافظة على الإستقرار الداخلي، وهو ما تؤكده رسالة الداي علي خوجة إلى السلطان العثماني، والتي جاء فيها: "...ومنذ إستلامي مقاليد الحكم وأنا ساهر على حماية البلد ...كان الواجب يحتم علينا رفع الطاعة والولاء إليكم والدفاع عن البلاد بجهادنا وحماية الفقراء والضعفاء وحل المشاكل المعلقة على الدولة، وإن عبدكم لصارف نهاره وليله إلى أداء مثل هذه الواجبات"، عبدكم علي بن أحمد، متصرف الجزائر المحروسة، 06 أكتوبر 1817م[2].

غير أنه بالرغم من المجهودات التي كان يبذلها الدايات كالإصلاح الأوضاع العامة، فإن فساد البايات حال دون ذلك، فزاد الناس نفورا من الحكام، وفقدت الثقة بين الجانبين، فكان ذلك إيذانا بظهور هوة إزدادت إتساعا مع مرور الأيام، مما أدى إلى تفكك تلك البنية التي تشكلت خلال ثلاثة قرون من الزمن بين الجزائريين والعثمانيين، وهو ما إستقى منه حمدان خوجة بعضا من أفكاره: "يجب على السلاطين وعلى أولي الأمر، أن يكونوا مع من تحت تصرفهم بمنزلة الأب المطاع مع أطفاله وأهل بيته، فيجب عليهم أن يبادروا بإصلاح ما يدخل عليهم الضرر...."[3].

و لم يكن الأمر يختلف في بايلك الغرب، فمع موت الباي محمد الكبير محرر مدينة وهران سنة 1792م من الإسبان، تولى إبنه مكانه وهو الباي عثمان بن محمد الكبير، الذي إنحرف عن الجادة و لم يلتزم بسيطرة أبيه و لم يحافظ على أمجاده فكان ذلك بالا عليه وعلى الناس.

---

[1] – محمد صالح العنتري، الصدر السابق، ص86.

[2] – عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 151.

[3] –حمدان بن عثمان خوجة، **إتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس عن الوباء** ، تق:محمد عبد الكريم، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ، الجزائر، 1968 ص78.

وهو ما ذهب إليه المزاري واصفا إياه: "وهكذا بدأت سياسته في التدهور والتراجع، وبدأ ما شيده أبوه يتعرض للخراب"[1].

ويقول عنه مسلم بن عبد القادر الوهراني: "...وإنتقل باللهو والطرب متشبها ملوك بني العباس العرب... بعث الى تونس رجلا يأتيه ببعض جواريها المغنيات، فأتاه بجاريتين مغنيتين متصدرتين في الجمال والغناء، فتسلى معهما أياما وليالي، إلى أن بلغ ذلك متولي أمره بالجزائر وإستشاط من ذلك غضبا، فأمر بعزله، وكبس دوره وأخذ جميع ما في خزانته من الأموال والذخائر..."[2]

هذه الإجراءات التي كان يتخذها الدايات في حق البايات المنحرفين، بالرغم من أنها كانت ترضي العامة، وتشيد بها المصادر المحلية كما رأينا، وتظهر مدى جدية السلطة الحاكمة في محاربة الفساد الذي أصاب أجهزتها، فإن مفعولها في إصلاح الأوضاع العامة للبلاد محدودا، بالرغم من إلتزام الكثير من الدايات بأنبل المواصفات التي تقرب إلى نفوس السكان،وتساير مواقفهم في بعض القضايا التي يتاعلون معها.

ولعل من المواقف التي لقيت الكثير من الإشادة والتنويه ضمن المصادر المحلية بالسلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر خلال هذه الفترة، هو الموقف الذي ميز فترة حكم مصطفى باشا (1798-1805)م والمتميز بسياسة الجزائر تجاه فرنسا إثر إحتلالها مصر عام 1798م، حيث أعلن الداي الحرب عليها وألقى الفرنسيين المقيمين بالجزائر مع قنصلهم في السجن، لا شيء الا مسايرة للرأي العام المحلي الذي تفاعل مع الحدث، ووقوفا بجانب مصر التي ترتبط معهم في الدين واللغة والثقافة والتاريخ والتبعية للدولة العثمانية.

[1] – بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 299، 300.

[2] – مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 65 ،66.

فقد أباح به الزهار في كتابه بنوع من الإشادة بهذا الموقف: "لما أخذ الفرنسيون مصر وبلغ خبر ذلك إلى مصطفى باشا، إستدعى القنصل الفرنسي وسأله عن ذلك، فأخبره بأنهم أخذوها فأختاظ الأمير لذلك، وأمر أن يجعلوا قيد الحديد برجله، وأن يخدم الحجر مع الأسرى، وإستدعى جميع قناصل فرنسا الذين بالجزائر مثل عنابة ووهران، وعندما قدموا وضع القيود في أرجلهم مثل صاحبهم يخدمون الحجر... وبقي مع الفرنسيين في العداوة إلى أن فتح الله مصر". [1]

وسواء كان الامر يتعلق بموقف من مواقف أحد الحكام، أو خصال حميدة تميز بها أحد رجال السلطة أو ذاك لم يغير من الأمر شيئا، فبالرغم مما إتصف به آخر الحكام العثمانيين في الجزائر من صفات حميدة، وسيرة حسنة بين الناس، فإن الأمور بقيت على حالها من إتساع الهوة بين السلطة والرعية.

يتحدث عنه الزهار منوها بخصاله، مادحا لسياسته، "وحسن باشا هذا، وهو آخر الترك بالجزائر قد كان قوي النفس، لا يتزعزع لعظائم الامور ولا يتضعضع لنوائب الدهر وأما سيرته في أهل البلد، وأهل مملكته ، فقد سار فيهم سيرة حسنة، لم يسرها من تقدمه، من لين الجانب وسهولة المجاب، والعفو عن الجرائم والصفح عن الزلات، والكف عن الدماء والمحارم ورفع الظلمات، وتفقد أحوال الضعفاء، وكان تقيا، ومحبا للصالحين ولمن إنتسب إليهم، وكان يلتزم أحكام الشريعة المطهرة، أما عما له على أهل البادية فقد ظلموا وجاروا على الرعية"[2].

غير أن هذه السيرة التي سارها بعض أواخر الحكام العثمانيين في الجزائر وما لقوه من إشادة ومديح، لم يشفع فيهم لدى السكان، جراء ما تعرضوا له من ظلم ونهب وسلب من حكام الأقاليم على وجه الخصوص، فكانت نتيجة ذلك إضطراب الأوضاع الإجتماعية في شرق البلاد وفي غربها وفي الجنوب، فكانت ثورة إبن الشريف الدرقاوي بالغرب الجزائري وثروة إبن الأحرش

[1] - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 101،102.

[2] - نفسه،ص ص90، 93.

بالشرق الجزائري، وثروة التيجاني إنطلاقا من عين ماضي، من أكبر الفتن التي عرفتها الجزائر في فترة ما بعد التحرير الكامل للمواقع التي كانت محتلة من طرف الإسبان.

إرتأينا التطرق بإيجاز إلى هذه التمردات من خلال المصادر المحلية لمعرفة كيفية معالجة السلطة الحاكمة لها ؟

أ-ثورة الشريف بن الأحرش:

كانت من أخطر الثورات التي عرفها القطر الجزائري طيلة الوجود العثماني، لأنها شملت رقعة واسعة من بايلك الشرق، ولأنها دامت ثلاثة سنوات متتالية وقتل خلالها باي الاقليم الشرقي.

ولقد أشادت المصادر المحلية بالسلطة الحاكمة التي واجهتها بالقوة ونعتت أصحابها بنعوت دنيئة، وتهكمت من أقاويلهم ومما كانوا يدعون، فمما جاء في تآليفهم عن هذه الثورة وزعيمها وجاء في ذلك القول ابن المبارك عن زعيمها: "دخل وسط القبائل ووعدهم بأخذ قسنطينة وأظهر لهم أمورا يزعم أن بارودهم يتكلم وأن بارود أهل قسنطينة يرجع ماء في مكاحلهم، وغرهم بأمثال هذا الكلام، وإستمالهم ووعدهم بأموال قسنطينة وحريمها...."[1].

ويقول كذلك عنه العنتري: "... وزعم أنه صاحب الوقت وأن دعوته مستجابة والنصر يتبعه حيثما يتوجه وبارود عدوه لا يضره، ولا يصيب أتباعه بل يرجع إليهم ماء، إلى غير ذلك من الدعوات الكاذبة، وخرج الباي يطلب رأس الشريف في جيش بلغ عدده أربعة آلاف جندي..."[2]

[1] - الحاج أحمد المبارك ، **تاريخ حاضرة قسنطينة** ، تر: نور الدين عبد القادر، المطبعة الرسمية، منشورات المدرسة العملية للدراسات العربية، الجزائر، 1952، ص 13.

[2] - محمد صالح العنتري، **مجاعات قسنطينة**، تر: رابح بونار، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص ص29، 33.

ففي سنتي (1806-1807)م تواصلت المعارك ولما هاجم الشريف سهول بجاية تصدت له جيوش الباي وإضطرته إلى الفرار والإلتحاق بشيخ الدرقاوي في بايلك الغرب، حيث "بقي في معيشه إلى أن دس له من قتله من أصحابه وكان ذلك في 1807م"[1].

ويتحدث عنه مسلم بن عبد القادر: "... ذلك أن إبن الاحرش أنني إلى القبائل أصحاب الأرياف وادعى أنه صاحب وقت وكانت إليه حيل أظهرها إليهم فنصروه...."[2].

لقد تصدت السلطة الحاكمة لهذه الثورة بكل ما أوتيت من قوة و لم تيأس رغم ما تكبدته من خسائر، لأن ذلك كان يهدد أمن الجزائر الداخلي من جهة، والوجود العثماني بها من جهة أخرى، فكان ذلك محل إشادة وتنويه للسلطة ممن عاصروها من الكتاب والمؤلفين ، في حين نظروا إلى زعيمها بنظرة التذمر والإنتقاد، كما لم تكن ثورة إبن الاحرش هي الوحيدة التي عرفتها هذه الفترة من حيث قوتها وسعة إنتشارها وكثرة أتباعها، بل تزامنت مع قيام ثورة أخرى ألا وهي ثورة درقاوة بالغرب الجزائري[3] :

ب- ثورة درقاوة:

أباح بها محمد بن يوسف الزياني بتفاصيلها، ويعيب على أصحابها سلوكاتهم وأفعالهم فيقول عن زعيمها عبد القادر بن الشريف: "وترك تعليم القرآن للطلبة لبس المرقعة وركب الكلخ وعلق الببوش والقرون معه، وإبتدع أمورا يمجها الطبع وينكرها الشرع، وإقتدى به كثير من الناس وأخذوا عنه عامة خصوصا أهل الصحراء ، وبقي هو وأصحابه على ذلك ينتمون إلى التصوف والصلاح،فسيقت إليه الهدايا من كل فج وظهر صبيته بين أظهر الأعراب فدعا أهل الصحراء للبيعة كالأحرار وغيرهم ، فاجابوهم لذلك وأقام بالأحرار يأمر وينهي فسمع به الباي مصطفى

[1] – الامير محمد،المصدر السابق،ص 118.

[2] – مسلم بن عبد القادر ،المصدر السابق،ص67.

[3] -محمد بن يوسف الزياني ، المصدر السابق ، ص208.

فجهز له جيشا عظيما وقصده به فإبن الشريف هابط للباي وهو صاعد له إلى أن تلاقيا بفرطاسة بين وادي مينا ووادي العبد، وشعلت نار الحرب بينهما وحمي الوطيس فإنهزم الباي بجيشه وأخذ إبن الشريف بجيشه، أدبارهم يقتلون ويؤسرون ويسبون إلى قرب المعسكر وبقيت محلة الباي بما فيها غنيمة للدرقاوي ، فصار الباي في نكد والدرقاوي في رغد ودخل الباي للمعسكر على غير الحالة المعهودة، وعساكره خلفه مطرودة، قال صاحب دار الأعيان وكان ذلك يوم الأحد ثامن ربيع الأول سنة 1805م[1].

فكانت هذه المواجهة شديدة الوقع على السلطة الحاكمة بوجه خاص وعلى عامة الناس بوجه عام، لما ذهب ضحيتها من أعيان.

ودليل ذلك في ماجاء به مسلم بن عبد القادر فيقول:" مات في فرطاسة من الأعيان من كتاب إنشاء الباي كأحمد إبن هطال وأبو عبد الله محمد محمد الغزلاوي...، وقال فيها شعرا يشيد فيه بالباي مصطفى وما جهزه من قوة لمواجهة الدرقاوي الذي يذكره بإحتقار .

فيوم فرطاسة يوم كبير ذل فيه العزيز وعز الحقير
لقد هيأ مصطفى جيشا كثير تركا ومخزنا الملك الكبير
فلم تكن ساعة وإنهزموا من جيش قليل هيأه الفقير .[2]

يذكر زعيم هذه الثورة بنظرة المتذمر المنتقد لأفعاله وسلوكاته وأتباعه: "... وكان رجلا عالما متفننا في جميع العلوم ورعا زاهدا، والناس يشيرون إليه بالصلاح لاغير إلى أن زغت به نفسه، وباع آخرته بدنياه، فحصل له بذلك الطمع الكثير، مع نظره إلى إجتماع الغوغاء عليه، وهم جموع الأحرار وغيرهم الذين يشبهون صرغار الجراد في الفساد .. "

[1] – محمد بن يوسف الزياني ، المصدر السابق، ص 208،209.
[2] – مسلم بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 76.

ويتحدث عنهم حين فشلوا في دخول مدينة وهران وإنهزمو بتفاخر كبير ومديح للسلطة الحاكمة التي أفشلت مساعيهم فيقول: "....فمكن جيش درقاوة الخذلان، وقطعوا إلاياس من فتح البلد، ...وإرتحلوا يريدون بلاد الشرق، فالتقاهم رجال البرجية فنصرهم الله عليهم ، فكان يوما كبيرا على درقاوة، قتل فيه من قتل وأسر فيه من أسر ..وأما الباي ،،فإنه لما أتاه الخبر بتشتيت شمل الدرقاوي، بعث بعثا إلى أم العساكر ليأتو بنساء الدرقاوي وأولاده، وما أدخر... فقدموا بهم على الباي في وهران، فأمر بركوبهم في البحر في شقف عينهم إليهم وبعثهم إلى الجزائر".وأنشد أبياتا شعرية موجهة إلى أتباع الدرقاوي فيها الكثير من الهجاء والتهجم العنيف والتهديد بسوء المصير، جاء فيها:

أيا عسكر الأعراب غررتم بجمعكم فسوف تروا ماذا بجيشكم يصير
فالموت هاهي تأتي إليكم عن عجل من قوم عاتية منها الرؤوس تطير
فتبا لمن بكم ودل عليكم برأي خسير ياله رأي عسير
وهذا يوم الفراق حان مجيئه واليسر نادى فراقه باذا اليوم الكبير
ولكن أمر الله ليس له رد وحين القضا يأتي يعمى له البصير.[1]

وعن هذه الثورة يسوق المزاري موقف العلماء الجزائريين منها، وهم يتبادلون الفتاوى الشرعية مع علماء المغرب تجاه التعامل مع أصحابها، فيقول : " وفي هؤلاء درقاوة وقع السؤال والجواب من أولي الألباب ونصه:

أيا أهل تطوان فما الحكم عندكم في أصحاب درقاوة إلى الجهل ينسب
بنص يزيل المشكلات بأسرها أيتبع مطلقا أو الترك أصوب
وما أحدثوا من جلد ذيب ونحوه في لبسهم والحبل والعود يركب

[1] – مسلم بن عبد القادر،المصدر السابق ،ص 90، 91.

إذا نصبوا للإقتداء فهل لنا ثواب صلاتنا أم الأمر أصعب

وهل غيبة تجري وينصف عادل جوابكم ينعي من الحوض نشرب

وكان جواب علماء تطوان كما يلي:

عليك سلام الله يا سائلي فمنذ نقولا من المعيار بالسوط يضرب

وإبن هلال شدد جدا محررا ومن يتبع ذا الأمر إبليس يصحب

ومن يعتقد الرقص والشطح باليد عبادة ربه فزنديق يحسب

وقد خالفوا سبل الرسول محمد ومن خالف سنن النبي يعذب

إمامتهم مع الشهادة باطلة لبدعتهم حقا وصدقا مركب

فلا غيبة تجري في سبعة طبقوا في مثلهم الأخبار للعلم ينسب. [1]

ج-الثورة التجانية:

جاء في رحلة الأغواطي ذكره لهذه الثورة على العثمانيين مع وصفه لعين ماضي فيقول: " إن هذه البلدة عين ماضي تقع غربي تجموت، وهي محاطة بأسوار تشبه أسوار طرابلس، ولها بابان عظيمان،ولحاكمها الذي يسمى ولد التجيني حوالي مائة عبد وخزنة مليئة بالنقود ومنذ سنتين فقد جمع أخوه جيشا زحف به غرب الناحية المحيطية إلى لوائه، وزحفوا بالطبول والمزامير، وأعطيت لهم الخيول والخيام، وقد سقطت مدينة معسكر في أيديهم ، وتقدموا نحو وهران ، غير أن باي وهران وزع الدراهم على عرب الحملة بهدف هزيمة الجيش، وقد نجح الباي فجعلهم بذلك يسحبون أيديهم لولد التجيني الذي قتل فيما بعد إثر هجوم قام به الباي ضد جيشه".[2]

[1] - بن عودة المزاري ،المصدر السابق، ص 303.

[2] - الحاج بن الدين الاغواطي، **رحلة الاغواطي في شمال افريقية والسودان و الدرعية** ،تر: وليام هودسون قنصل امريكا بالجزائر والمراسل الاجنبي للجمعية الملكية الاسوية،طبع مؤسسة الترجمة الشرقية ،لندن1830،ص243 .

من خلال إستعراضنا للوضع العام في الجزائر وما تخلله من ثورات كبرى أنهكت الجميع وتصدي السلطة الحاكمة لها بالقوة ومواجهتها بحد السلاح، رغم ما كلفها ذلك من الخسائر المادية والبشرية، كمقتل الباي عثمان في موجهته لإبن الأحرش بشرق البلاد، ومقتل كبار الأعيان وكتاب الباي مصطفى، أمثال إبن هطال في مواجهة الشريف الدرقاوي بغرب البلاد، فإن الحكام الأتراك لم يستسلموا لهؤلاء الثائرين، رغم الظروف الصعبة التي كانت تمر بها البلاد، معتبرين خطرهم أكبر مهدد لأمن الداخلي، وهو ما تؤكده مضامين الرسالة التي بعث بها الداي عمر باشا إلى سلطان العثماني، والتي جاء فيما: "...أما واجبكم فهو معاونتنا بإرسالكم الأوجاق والأسلحة خصوصا عندما ظهر هذا المهدي الكاذب منذ خمس وعشر سنوات في غرب وشرق الجزائر، لقد ثار علينا... لقد هاجم العساكر الأتراك.... وعليه فإننا نعلمكم أن عددا من الموتى، قد سجل في المعارك .... نطلب من حظرة سلطاننا أن يرسل إلى أوجاقنا الذخائر الحربية نظرا لقلة ما نملكه الآن..."، (والي الجزائر عمر باشا في رجب 1231 جوان 1816م)[1].

من خلال هذه النماذج التي تطرقنا إليها وإعتمادا على المصادر المحلية يتبين لنا بان الشريحة المثقفة في المجتمع آنذاك من العلماء ورجال الدين وغيرهم أبدوا مساندتهم للسلطة الحاكمة ودعمها في مواجهة هذه الثورات، حفاظا على بقاء الدولة قائمة في وجه المخاطر الخارجية، رغم ما آلت إليه من ضعف، وإرتكاب أخطاء الشيء الذي صعب مهمة الثائرين في تحقيق أهدافهم.

ومن جهة أخر ى ورغم الإنعكاسات السلبية لهذه الثورات على الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية فإنها لم تتمكن من الإطاحة بالحكم المركزي المستقر بمدينة الجزائر، نظرا لتعدد الأطراف الداعية لها وإختلاف وجهات نظر زعمائها إلى حد التنافس بينهم.

فقد روي عن محمد التيجاني قوله: "قال لي سيد الوجود (ص) من نظر وجهك يوم الجمعة والإثنين دخل الجنة بغير حساب ولا عقاب....، وقال (ص): "من ترك وردا من أوراد المشايخ

[1] – عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 114.

لأجل الدخول في طريقتنا هذه المحمدية التي شرفها الله على جميع الطرق أمنه الله في الدنيا والآخرة فلا يخاف من شيء يصيبه، وأما من دخل زمرتنا وتأخر عنها ودخل غيرها تحل به المصائب دنيا وأخرى..."[1].

هذا التنافس بين الطرق الصوفية، وعدم تمكن أي منها من بسط نفوذها على كامل البلاد أعطى السلطات العثمانية فرصة لتجنيد كامل قواها، متفرغة للقضاء على هذه الثورات التي ساهم في اضعافها ومحدودة تأثيرها معارضة العلماء وفئة المثقفين لها بما لديهم من وزن في المجتمع.

إلا ان هذه الثورات كانت في واقع الأمر بمثابة لرد فعل لإشغال السلطة الحاكمة بأزماتها الداخلية والخارجية عن تقربها المعهود من المتصرفة عن طريق الهدايا والزيارات وطلب الدعوات من جهة، وعلى التكاليف الضريبية التي أرهقت كاهل الآهالي من جهة ثانية، ولا سيما بعد تضاؤل دور رجال الدين في التوفيق بين المتطلبات المالية للجهاز العثماني الحاكم، وبين مجموعات السكان المحليين المتأثرين بالنفوذ الروحي لرجال الدين.[2]

4/1- علاقة السلطة الحاكمة بأعيان القبائل:

إجتهد بعض الحكام العثمانيين في الجزائر خاصة من حكام الأقاليم، خلال هذه الفترة في التقرب أكثر من بعض زعماء القبائل، وهذا بتخصيص امتيازات إضافية لهم، شعورا منهم وإعترافا بمكانتهم وكلمتهم في الأوساط الإجتماعية ورغبة في مساندتهم والوقوف إلى جانبهم، في وقت كثرت فيه المصائب على الجزائر من الداخل ومن الخارج، وفي المراسلات الآتية ما يستحق الإشادة والتنويه بطبيعة هذه العلاقة التي جمعت الطرفين والسياسة المتبعة آنذاك في هذا المجال، والتي يبدو بأنه لم تشهد كثيرا من التغيير.

---

[1] - جمال قنان، المرجع السابق، ص258 ، 259.

[2] - ناصر الدين السعيدوني، **النظام المالي للجزائر في اواخر العهد العثماني (1792-1830)**م ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1985،ص 60.

فهذه رسالة من محمد باي الملقب بالمانامابي الذي حكم بايلك قسنطينة من أواخر سنة (1822م إلى 1826 م)ويعود تاريخها إلى أواخر ربيع الأول (1241هـــ) الموافق لأواخر أكتوبر وأوائل نوفمبر عام 1825م[1]، وهي موجهة إلى إحدى العائلات الكبرى ذات المكانة الإجتماعية والسمعة الدينية في منطقة بلازمة بناحية الأوراس، ويتعلق موضوعها بحفظ الإمتيازات وتأكيد مكانة تلك العائلة لدى الحكام والآهالي وذلك بمعاملتها معاملة خاصة، وبإسقاط المطالب الضريبية عنها، وقد تضمنت ما يلي:

الحمد الله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، يعلم من يقف على هذا الأمر الكريم والخطاب الواضح الجسيم العلي شأنه النافذ أمره وسلطانه من الأخوات، والخلفاء والقياد والعمال، وسائر من له تصرف في الأحوال من العرب والأجناد سدد الله جميع ووفق الكل لصلاح العمل وحسن الصنيع، أن أنعمنا على الفاضل الأجل الخير لأجل الشيخ البركة الشيخ إبراهيم وولديه سي محمد، وسي أحمد، والسيد مراح، وسي الطيب بن بوبيدي، وسي محمد بن مسعود ومحمد بن عباس، وكافة إخوانه أولاد سي أحمد بن سعيد الشريف وجردنا لهم على مقتضى الأوامر التي بأيديهم المتضمنة تحريرهم من جميع المطالب المخزنية والوظائف السلطانية، قلت أوجبت بحيث لا تنتهك حرمة ولا ينظم لهم عقاب ولا يقاسون بما يقاس به غيرهم بسبب من الأسباب ولا يطالبون بمعزم ولا غيره لكونهم لم يجري عليهم عادة في ذلك، ولا يتعدى عليهم أحد ولا يطرق ساحتهم ولايقربهم بإذاية ولا بمكروه، وأوصينا بحرمهم وإحترامهم ورعيتهم وإكرامهم إنعاما تاما وتحريرا مباركا شاملا عاما فحسب الواقف عليه العمل وعدم المخالفة والسلام من الأسعد السيد محمد باي أعزه الله بمنه أمين أواخر ربيع الأنوار عام 1241هـ .[2]

كما راسل أحمد باي آخر الحكام العثمانيين على إقليم قسنطينة الذي حكم ما بين (1826-1837م) إلى نفس العائلة بتاريخ أوساط شوال (1243هـــ) الموافق لأواخر أفريل 1827م وفيها ما

[1] – ناصر الدين السعيدوني، **ثلاث رسائل تتعلق بالاوضاع الجزائر قبل الاحتلال** ،المركزالوطني للدراسات التاريخية،الجزائر،1979،ص61.

[2] -نفسه ،ص 61.

يستحق التنويه والعرفان بالعلاقة التي جمعت الحكام بالأعيان،وفيما يلي نصها بالكامل"الحمد الله وصلى الله على سيدنا محمد وأله وسلم، يعلم من يقف على هذا الأمر الكريم والخطاب الواضح الجسيم، العلي شأنه النافذ حكمه وسلطانه من العال والقواد وسائر المتصرفين في أحوال من العرب والأجناد سدد الله الجميع ووقف الكل لصالح العمل، وحسن الصنيع أنا أنعمنا على العز سي محمد الصالح وإخوانه عبد القادر بن محمد الصغير وإبن عمهم إبراهيم، وأولاد المرحومين ، السيد محمد وسي أحمد ولدي المرحوم الصالح السيد إبراهيم بن السيد أحمد بن سعيد الشريف وجددنا لهم على مقتضى ما يعدهم من أوامر إخواننا الباي المتضمنة تحريرهم من جميع المطالب المخزنية والوظائف السلاطانية، قلت أوجبت بحيث لا يتعدى عليهم أحد ولا يطالبهم بشيء ولا يقربهم بإذاية ولا بمكروه ولا يخرق فيهم بدعة، وأوصينا بحرمهم وإحترامهم ورعيهم وإكرامهم إنعاما تاما وتحريرا مباركا شاملا عاما، فحسب الواقف على أمرنا هذا أن يعمل به ولا يخالف عليه، والسلام . المعظم الأمجد الأسعد السيد الحاج أحمد باي أيده الله".[1] أوساط شوال سنة 1243ه.

من خلال هذه الرسائل التي تعتبر مصادر حية يتبين لنا بأن العلاقة بين العثمانيين والأعيان إتسمت بالحسنة، الشيء الذي يستحق التنويه والإشادة، خاصة إذا علمنا بأن الظرف الذي كانت تعيشه الجزائر يومها كان عصيبا، غير أن هذه المحاولات التي كانت تقوم بها السلطة الحاكمة في تلك الظروف الصعبة على غرار ما كانت تقوم به في السابق، لم تغير من الأمر شيئا، و لم تجد نفعا، حيث تراكمت المصائب، وتعددت منابع الفتن، من الداخل ومن الخارج ، وعجز الحاكم والمحكوم في التصدي لها، مما أوجد نوعا من الفتور في التواصل بين الطرفين رغم كل المجهودات التي بذلت .

فهذه شهادة لأحد الغربيين الذين عايشوا الحملة الفرنسية على الجزائر أردنا إضافتها ضمن حديثنا، يصف سيمون بفايفر العلاقة بين الأهلي والأتراك عشية الإحتلال الفرنسي: "ولكنهم في الظاهر كانوا يعاملون الجزائريين برفق ولطف ومروءة...وكان الداي قد لمح للأنكشارية سرا بان

[1] – ناصر الدين سعيدوني، (**ثلاث رسائل تتعلق بالاوضاع الجزائر قبل الاحتلال**)، المرجع السابق،ص ص 61-63.

تصرفهم مع الجزائريين في هذه المرحلة الدقيقة يجب أن يتسم بالذكاء والحكمة والإتزان وألا يلحقوا بهم أية إهانة من شأنها أن تثيرهم، وأفهمهم أن عض الطرف عنهم والتسامح معهم أفضل من محاولة إذلالهم، كما أمرهم أن يتذكروا كم هم في حاجة إليهم في الوقت الحاضر[1].

ومما تقدم يمكن القول بأن الفترة التي أعقبت تحرير وهران نهائيا من أيدي الإسبان سنة 1792م، وإستكملت خلالها الجزائر إستقلالها، عرفت البلاد إستقرارا نسبيا نستشفه من حكم ثلاثة دايات، إستمر حكمهم خمس وعشرين سنة، شهدت البلاد خلالها الكثير من الإنجازات في مختلف المجالات سبق التطرق إلى بعض منها، وبذلت السلطة الحاكمة كل مافي وسعها للحفاظ على توازنها المالي والإجتماعي لكن صعوبة الظروف الداخلية والخارجية التي كانت تمر بها الجزائر حالت دون ذلك، مما أوقعها في دوامة من الأزمات، تعامل الحكام معها بكثير من الإرتجالية رغم النية الحسنة لمعظمهم، الشيء الذي أوقعهم في كثير من الأخطاء ساهمت بشكل أو بآخر في إتساع الهوة بينهم وبين السكان، وهذا ما سنتناوله في المبحث اللاحق.

2- نظرة الاستياء والتذمر والانتقاد إلى السلطة الحاكمة

1/2- معالجة الأزمة الاقتصادية:

في الحقيقة لم تخصص هذه المصادر في المواضع الاقتصادية، بل طرقت هذه المواضيع بطريقة عابرة عفوية في اغلب الاحيان [2].

وبه شهدت الجزائر خلال هذه المرحلة من الحكم العثماني، فاختلفت الموازنات المالية وتدهورت الأوضاع الاقتصادية كثيرا مع بداية القرن 19م، ولعل هذا التردي يعود إلى مجموعة من العوامل منها:

[1]- سيمون بفايفر ، المصدر السابق ،ص 74،75.

[2] - رقية الشارف، المرجع السابق، ص 129.

-سنوات القحط والمجاعة التي أعيت الحكام وأثقلت كاهل السكان حيث شهدت البلاد سنوات (1800-1807 و1816-1819)م قحطا شديدا أضر بالزراعة وأصبحت البلاد معرضة أثناءه للمجاعة[1].

عبّر عن ذلك صالح العنتري بنظرة المتألم مما عاناه السكان وبنظرة المتذمرة من عجز السلطة على تحقيق المعاناة بقوله:"... حصلت للناس شدة ومجاعات قد أشرف فيها الضعفاء على الهلاك خصوصا في بعض نواحي القبلة فإنهم تشتتوا عن منازلهم وتفرقوا بسبب الهول الواقع في وطنهم مع الشر والمصائب التي حلت به من قبل، من يبس الزرع وعدم الحرث ونزول القحط والفتن إلى غير ذلك مما تقدم حتى صاروا يقتاتون الدم والميتة وغير ذلك مما لا يباح اقتياته... والحاصل بعد أن كان ذلك كذلك ارتفعت أسعار الحبوب إلى مالا نهاية له..."[2]

والشيء نفسه يتحدث عنه المزاري:" وفي فصل الربيع سنة اثنين وأربعين ومائتين وألف، وقع غلاء عظيم وقحط فيه الناس"[3]

وفي سرده للحدث ما يثير الحسرة والاستياء من سكوت السلطة وصمتها أمام هذه الأزمة التي كان يعاني منها السكان.

كما كان لتقلص مداخيل البحرية أثر سلبي على خزينة الدولة إثر تكتل الأوروبيين في مواقفهم، لوضع حد لنشاط البحرية الجزائرية، حيث يروي لنا الشريف الزهار في هذا الصدد:"وفي تلك السنة 1815 اتفق جميع الرياس (أي الملوك) مع السلطان محمود على إلغاء الأسر...فقدم

[1] ناصر الدين السعيدوني، **دراسات في الملكية العقارية** ، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1986،ص96.

[2] صالح العنتري، المصدر السابق،ص33،34.

[3] بن عودة المزاري، المصدر السابق ،ص360.

الإنكليز للجزائر وأخبر الأمير بذلك... وأن الأساري الذين بالجزائر فإنه أنى لكي يحملهم، ولكن بعد دفع الفدية..."[1].

علما بأن عام 1815 قد شهدت أوروبا خلاله انعقاد مؤتمر فيينا الذي كان من بين قراراته: منع تجارة الرقيق، وكان في الوقت ذاته يمثل خطوة هامة في تاريخ التقارب الأوروبي ضد كل ما يهدد مصالحهم وأنظمتهم سواء من داخل أوروبا، كنابليون بونابارت ، أو من خارجها كالدولة العثمانية وايالاتها، وفي مقدمتها الجزائر، وازدادت المواقف تقاربا بعد مؤتمر اكس لاشابيل 1818 ففي 05 سبتمبر 1819 أشعرت الدول الأوروبية الداي حسين بقرارات هذا المؤتمر الذي أكد على تمسك الدول الأوروبية وتوحيد قواها لوضع حد لنشاطات الأسطول الجزائري في حوض البحر الأبيض المتوسط، وأهم ما جاء في الإشعار :"أيها الأمير إن الدول الأوروبية التي اجتمعت في السنة الماضية في إيكس لاشابيل قد أوكلت لفرنسا وبريطانيا العظمى أمر تقديم تحذيرات جادة وخطيرة باسمها جميعا للإيالات البربرية، حول ضرورة وضع حد للنهب والاعتداءات التي تقوم بها السفن المسلحة التابعة لهاته الإيالات... فهاته الدول مصممة وعازمة بصفة نهائية على وضع حد لنظام القرصنة... ويجب أن تتمعن جيدا في ذلك قبل فوات الأوان..."[2].

لقد تزامنت هذه القرارات والتكتلات الأوروبية ضد نشاط البحرية الجزائرية مع سنوات القحط والجفاف التي كانت تمر بها البلاد، مما زاد في تأزم الوضع الاقتصادي والاجتماعي معا، وشحت المداخيل كثيرا ووقع عجز في الخزينة، و لم تجد السلطة الحاكمة مخرجا من هذا المأزق سوى الاهتداء إلى زيادة الضرائب على السكان والاجتهاد في جبايتها بكل الوسائل كما انصبت سياسة الدايات الأواخر كالداي بابا حسان (1791-1798)م والداي مصطفى باشا (1798-1805)م على انتهاج أسلوب جديد في التعاملات التجارية قوامه تصدير المزيد من المحاصيل

[1] – أحمد توفيق المدني، المصدر السابق،ص118،119.

[2] – جمال قنان، المرجع السابق،ص ص265،266.

الزراعية إلى الخارج عن طريق الشركات الأوروبية والمحتكرين اليهود أمثال بكري وبوشناق، ففي الوقت الذي قل فيه الإنتاج الزراعي بسبب سنوات الجفاف المتتالية التي عرفتها البلاد.

كان السماسرة اليهود يصدرون كميات هائلة من الحبوب أثناء هذه الفترة وهذا ما تسبب في حدوث اضطرابات في جهاز الحكم كما أدى الضغط المتزايد على الأرياف إلى قلة الإنتاج وإهمال الزراعة وإعلان العصيان[1].

لقد أثارت النشاطات التجارية التي كان يمارسها اليهود بدعم من السلطة الحاكمة حافظة السكان خاصة عندما كان الأمر يتعلق بغذائهم الأساسي وهو القمح ، فقد ذكر الزهار في كتابه المستاء من السياسة التي كانت تنتهجها السلطة في هذا المجال كما يلي:"إن الخزناجي كان محبا لليهود، وكان كبيرهم ولد بوجناح له صلة كبيرة مع الأمير والخزناجي، وكانت له مراكب تسوق القمح والشعير من وهران وعنابة إلى بر النصارى بإذن الأمير ووزيره الخزناجي... وكان الناس والأتراك يخافون شوكته إلى آخر سنة 1804 فقام رجل من الأتراك اسمه يحي يريد قتله فلما قرب منه ضربه ببندقية لبطنه، فلما سمع أهل البلد بموت الذمي وبقاتله، فرح المسلمون بذلك...فلما علم الأتراك أن أهل البلد فرحوا... خرج الأتراك وذهبوا للحارة وابتدءوا يقتلون رجال اليهود فقتلوا منهم نحو المائتين وعندما وقع هذا الأمر باليهود بقي الأمير ساكنا و لم يقدر على أحد"[2].

2/2- علاقة السلطة الحاكمة برجال الصوفية:

أمام حدة الضغط الذي سببته الضائقة المالية لم تستطع السلطة الحاكمة المحافظة على وتيرة تعاملها المعهودة مع رجال الصوفية، فازداد بذلك التباعد يوما بعد يوم بين هؤلاء وأولئك مما دفع في نهاية المطاف برجال الصوفية إلى الوقوف بجانب السكان المتذمرين من سياسة الأتراك، بل قادوهم إلى الثورات والتمردات.

---

[1] - ناصر الدين السعيدوني،(**النظام المالي للجزائر**)، المرجع السابق، ص 36.

[2] - أحمد توفيق المدني، المصدر السابق،ص ص117،118.

وأما تمادى الحكام في سياسة قمع الثائرين انفلت الأمر من أيديهم وإزدادت الأوضاع سواء وحركية السكان ضعفا وحالة الجيش تدهورا وأثقلت الضرائب كاهل الأهالي.

فالاحتلال الذي عرفته الجزائر في الناحية المالية ، إنجر عنه ضغط ضريبي على الأرياف وساهم ذلك في نشوب ثورات عديدة وجدت في الطرقية وسيلة للتعبير عن عدائها وكراهيتها للسلطات الحاكمة كما كان هذا الانهيار المالي عاملا مباشرا في انعزال الحكومة الجزائرية وعدم تجاوب السكان معها مما جعلها تنهار في أول صدام حقيقي لها مع قوة أجنبية غازية سنة 1830 .[1]

كما كان لهذه الثورات انعكاسات السلبية ، وعواقبها السيئة على رجال الدين عموما والمتصوفة خصوصا إذ صار رجال السلطة منذ ذلك الحين يتعاملون بحذر كبير مع أصحاب الطرق الصوفية بل يتوجسون منهم خيفة، ويتتبعون أخبارهم وحركاتهم، وقد تعرض الكثير منهم للقتل الشنيع.

وقد أشاد به المزاري في قوله الذي يسوق لنا شيئا من سيرة آخر بايات وهران، وكيف تعامل مع رعيته؟ وخصوصا رجال الدين والمتصوفة بوجه خاص في آخر أيام حكمه فيقول:"... واجتهر على العلماء والأولياء والشرفاء والرعية فبان منه الجور والظلم والتعدي، وكثر منه الضلال وهتك المحارم والتردي، وطغا وتجبر وتكبر وكثر منه الفساد"[2].

والسفك بغير موجب لدماء العباد، و لم يراقب في ذلك خالقه و لم ينظر ليوم المعاد، فقتل في سنة تسعة وثلاثين ومائتين وألف

ولي الله الفقيه السيد محمد ابن أحمد الصدمي من أولاد سيدي بن حليمة... وفي شهر شعبان أمر بقطع رأسي الفقيهين العالمين الجليلين الوليين السيد بن عبد الله بن حواء التيجيني الدرقاوي، والسيد فرقان الفليتي.

[1] – ناصر الدين السعيدوني،(نظام المالي للجزائر)، المرجع السابق ،ص 243.

[2]– بن عودة المزاري،المصدر السابق، ،ص350 .

ويضيف "وقتل هذا الباي ولي الله سيدي الحاج محمد البوشيخي المقيم بقيزة بحيث علقه مع خشبة بوهران وقال هذا جزاء من يريد الظهور والإعلان، ومنع شيخ الجماعة من الحج وهو السيد الحاج محي الدين بن سيدي مصطفى بن المختار والد الأمير السيد الحاج عبد القادر..، ثم جمع جيشا عظيما يقينا، وذهب به لزاوية الشيخ بلقندوز القداري التيجيني وليس عند هذا الشيخ الضرير سوى الطلبة لقراءة القرآن، قال مثل هذا لا يثور علينا ورجع ثم غزاه في عام 1828م وقتله خنقا[1]..."

وكان الشيخ الشارف ابن الفكوك للشيخ بلقندوز وهاجر إلى المغرب بعدمقتل شيخه، ورثاه بقصيدة تضمنت الترحم على شيخه وذكر حسناته والدعاء على الباي حسن بعذاب الله وانتقامه، وفي ذلك يشير إلى الاستياء والتذمر من السلطة الحاكمة وسياستها المتبعة تجاه المتصوفة، فقدم هذه الأبيات من قصيدته.

أرحم شيخي بلقندوز	مريد الشيخ المعزوز
عبد القادر به أنفوز	عند ارجال للزمية
بالقندوز المزهد	في وسط الطلبة عابد
لابد في الذكر يمجد	يخدم ربي بالنية
ما تظني كيفوا ولدا	اسم النبي سيد ارقية

ثم يتعرض للباي حسن فيقول:

[1] - بن عودة المزاري ، المصدر السابق، ص 361،362.

يا رب عذب حسن [1] فركت بيت الله تعيان
والطلبة قعدت تنهان وافترقوا في بكريا
افترقوا في تحمدا شدوا من به العمدا
ثم كانوا مجموعين عمارة للمساكين [2]

ثم يذكر تاريخ الواقعة بالتدقيق فيقول:

أحدث ذاك الأمر في القرن الثالث عشر
في شهر الله صفر دارت به العساكر
بالثلاثة بعد الفجر ولى في أيدين العدية
عام الخمسة والأربعين توفي ليلة الاثنين
فرحوا له الطائغون الغابطون في الدنيا
ماذا قتلوا من رؤوس من ساداتي الصوفية [3]

كذلك أشاد مسلم بن عبد القادر الوهراني تشفيا في الأتراك إثر هزيمتهم أمام الفرنسيين، نتيجة استياء منه وتذمر من انحراف سياستهم في أواخر عهدهم رغم كونه كاتبا مقربا من الباي حسن بوهران إلى غاية احتلالها وكان شاهد عيان بانهزام الجيوش التركية ودخول المحتلين الفرنسيين مدينة الجزائر.

[1] - **الباي حسن بن موسى**: تولى هذا الباي سنة 1232ه/1826م ويعرف عنه العامة بالباهي حسن وهو آخر بايات وهران، وكان أول أمره طباخا للأربعين جنديا من الأتراك ثم صار بائعا للتبغ ووصف أنه ذا عقل وسياسة ثم نقل إلى المشق إلى أن توفي به.**أنظر**: مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق،ص29،30.

[2] - ابن عودة المزاري، المصدر السابق، ص51،52.

[3] - محمد بن يوسف الزياني،المصدر السابق، ص10،11.

في فج من محرم بها صفر بعد قتال ذريع نال الوطر
جمعهم والباشا في أكباله أسلبهم الله ملكهم في حاله
بعد العصيان والطغيان فلهم أموالهم أخذها والأسلحة
غراب البين نص في حرج العقاب قد أطمأن قلبه من العقاب
خلاله الجو فمد رجله لما طوى ملك الأتراك رحله
أدبهم ربهم لما طغوا عرفهم بغدرهم لما بغوا
كأنهم ما كانوا في عز وما تملكوا دهرا طويل المنتهى
في عام كه في القرن العاشر كان ابتداء الملك بالجزائر
فامتد به ملكهم كافا وسين ولما أن كمل الوعد كان البين .[1]

كذلك ما يؤكده محمد بن يوسف الزياني بقوله: "وأعلم أن الأتراك لما تمهد لهم الملك بالجزائر، كثر ظلمهم وفسادهم بحيث لا يليق أن يذكر فيه من الظلم والمناكر وتواتر ذلك على الألسنة بغاية التواتر... وسألت الناس الله أن يزيل بهم ما حل من ظلمهم"[2].

الشيء الذي ساهم بشكل كبير وفعال في نفور السكان من الحكام وانعكاس ذلك على المجتمع هي تلك السياسة التي طبعت بالانحراف منها ما تعلق بمعالجة الأزمة الاقتصادية أو طبيعة التعامل مع الطرق الصوفية وبه سوء الأحوال وتهيأت الأسباب والظروف للغزو الفرنسي.

وبه المرحلة التي أعقبت تحرير مدينة وهران من الاحتلال الاسباني عرفت بكثرة أزماتها الداخلية، السياسية منها كتفشي ظاهرة اغتيال الحكام وضعف شخصياتهم وقيام التمردات عليهم والاقتصادية،كظاهرة الجفاف وسنين القحط التي توالت على البلاد وشح المداخيل البحرية وتقلصها، بالإضافة إلى الأزمات الخارجية.

[1] – مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق،ص 33،34،

[2] – محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق،ص253.

الفهرس

المحتوى	المضمون
الإهداء	
التشكر	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ
مدخل لمحة عن المصادر المحلية والأجنبية	
1 -المصادر المحلية	06
2 -المصادر الأجنبية	13
الفصل I : نظرة المصادر المحلية للوجود العثماني من 1512 م – إلى1792	
1 -دوافع إرتباط وإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية	19
1-1-دوافع ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية	19
1-2- الحاق الجزائر بالدولة العثمانية	21
2- نظرة التأييد والإستحسان إلى السلطة الحاكمة	24
1/2- نظرة المصادر المحلية إلى علاقة السلطة العثمانية بالقوى المحلية	24
أ- علاقة السلطة مع المرابطين والصوفية	24
ب- علاقة السلطة مع العلماء والمثقفين	27
ج- علاقة السلطة مع القبائل والرعية	29
2/2– نظرة المصادر المحلية إلى الجهود العثمانية	30
ا- في مجال الجهاد	30

ب – في مجال الإصلاح والعدل ومحاربة الفساد	33
ج – في مجال الثقافة والتعمير	36
3- نظرة الانتقاد الى السلطة الحاكمة	40
الفصل II : نظرة المصادر المحلية للوجود العثماني في الجزائر سنة (1792-1830)م	
1- نظرة التأييد إلى السلطة الحاكمة	49
1-1- في مجال البناء والتعمير	49
1-2- علاقة السلطة الحاكمة بالعلماء والمثقفين	51
1-3- في محاربة الفساد وحفظ الأمن والتصدي للثورات	54
أ - ثورة الشريف بن الأحرش	58
ب –ثورة درقاوة	59
ج- الثورة التجانية	62
1-4- علاقة السلطة الحاكمة بأعيان القبائل	64
2/ نظرة الاستياء والتذمر والانتقاد إلى السلطة الحاكمة	67
2-1- معالجة الأزمة الاقتصادية	67
2-2- علاقة السلطة الحاكمة برجال الصوفية	70
الفصل III : نظرة المصادر الأجنبية للوجود العثماني في الجزائر	
1 - نظرة الانتقاد إلى السلطة الحاكمة	77
1-1-الغزو البحري أو القرصنة	77
1-2- مسألة الأسرى	79
1-3- مسالة الضرائب	85
1-4-علاقة العثمانيون بالسكان	88
2- نظرة الإشادة والاستحسان إلى السلطة الحاكمة	90

2-1- التسامح الديني	90
2-2- معاملة الأسرى	93
2-3- انسجام السكان	95
2-4-رعاية الامن والمحافظة عن المال	98
2-5- تجسيد العدالة والإخلاص القوانين	100
2-6- الالتزام بالأخلاق النبيلة	101
خاتمة	105
قائمة الملاحق	109
البيبلوغرافيا	118
الفهرس	125

قائمة المختصرات

1 بالعربية

ص ص	صفحات
ص	صفحة
مج	مجلد
م	التاريخ الميلادي
هـ	التاريخ الهجري
ج	الجزء
الخ	إلى أخره
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ط	طبعة

2 بالفرنسية :

Ibid	I bidem
Opcit	Opera-citato
R-a	Revue-africaine
p	page

مقدمة

اثر سقوط غرناطة شنت المسيحية حملات قمعية واسعة النطاق ضد مسلمي الأندلس لما اتجهت أنظارها نحو شواطئ المغرب، تريد ان تحتلها في حركة تعد امتدادا في المغرب العربي، للحروب الصليبية التي كان المشرق ميداننا لها وفي هذه الصفحة الجديدة من صفحات المعركة بين الإسلام والنصرانية ظهر الأتراك العثمانيون الذين نهضوا لرد الاعتداءات المسيحية الاسبانية ،باعتبارهم الذين تولوا زمام قيادة المعركة ،بعد انتصارهم على الروم سقوط القسطنطينية، وبه أثار الوجود العثماني بالجزائر أسئلة لدى الباحثين والمؤرخين حول طبيعة من حيث هل هو فتح ؟ أم توسع ؟ أو احتلال ؟ أم هو تدخل ؟

و راح كل طرف من هؤلاء يحاول تبرير موقفه على حساب موافقة الأخر بناءا على ما توصل إليه من شواهد ومعطيات تاريخية تعكس وجهة نظره والتي تضمنت الرحالة الأجانب وبعض المغاربة والجزائريين الذين عاصروا الفترة الزمنية ما بين عام(1518-1830)م ودونوا إخبارها تدوينا سرديا كرونولوجيا وبه تباينت رؤاهم إلى السلطة التي كانت قابضة على الحكم فيها طوال الفترة المذكورة بين مستحسن وناقم ومنصف ومتحامل .

وبعيدا عن هذا الجدل التاريخي الذي لا يزال يثير كثير من النقاش، وهذا ما دفعنا إلى البحث والغوص في الكتابات المحلية والأجنبية ونظرتهم للوجود العثماني في الجزائر وكذلك الدوافع التي كانت من وراء **اختيارنا لهذا الموضوع** وهي دوافع ذاتية وأخرى موضوعية فاما الدوافع الذاتية فتمثلت في :

-ميولنا الشخصي إلى دراسة تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية ورغبتنا في البحث وقراءة كل ما كتب حول هذه الفترة.

-أما الدوافع الموضوعية فكانت ما يلي:

-تقديم دراسة متكاملة حول موضوع الذي اخذ حيزا كبيرا من الجدل لدى العديد من المؤرخين والباحثين سواءا الأوربيين والجزائريين .

-البحث في نوع الترابط الذي كان بين الدولة الجزائرية والدولة العثمانية في هذه الفترة

-التعرف على علاقة الباب العالي بالسلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر وكذا علاقة هذه السلطة بالسكان الجزائريين بمختلف طوائفهم من علماء وحضر وسكان وريف.

-**والهدف من هذه الدراسة** هو معرفة حقيقة الوجود العثماني في الجزائر من خلال هذه الكتابات.و بحكم ان موضوعنا يخص الوجود العثماني في الجزائر كان علينا ان نلتزم بالفترة الزمنية مع مطلع القرن (16-17)م وهي التي انطوت فيها الجزائر تحت السلطة العثمانية .

-**أما الإشكالية المطروحة** : وما هي نظرة الجزائريين والأجنبيين إلى الحكام الأتراك تعاونا وتقاربا أو تنافرا وعداء ؟.

-ومن خلال الإشكالية العامة نطرح مجموعة من الأسئلة الفرعية :

-إلى أي مدى ساهمت الظروف التاريخية في تحديد هذه النظرة ؟

-هل كانت هذه النظرة لها علاقة بمفاهيم فقهية موروثة مثال الخلافة؟ وما هي مواقفهم؟

-هل كانت هذه الفئات المختلفة مساندة للسلطة العثمانية في الجزائر أم العكس وفي أي مرحلة؟

-بماذا تميزت العلاقة بين الأتراك العثمانين والأهالي؟

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة : لقد اتبعنا المنهج التاريخي التحليلي النقدي الذي بهدف إلى تتبع الحقائق التاريخية ودراسة المعطيات ومحاولة استنتاج ما يمكن استنتاجه وتركيب المعلومات كما تتبعنا المنهج الوصفي الذي يهدف إلى وصف الأحداث والوقائع التي تحتاج إلى ذلك .

وللإجابة على الإشكاليات المطروحة سابقا وضعنا الخطة التالية : التي تحتوي بداية على مدخل وفيه إحاطته حول بعض المؤرخين المحليين والأجانب .

أما الفصل الأول : فتطرقنا فيه إلى نظرة المصادر المحلية إلى السلطة العثمانية في الجزائر سنة (1512-1792) م.

أما الفصل الثاني: يندرج تحت عنوان المصادرنظرة المحلية إلى السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر في سنة (1792–1830)م.

أما الفصل الثالث: يتضمن نظرة المصادر الأجنبية إلى السلطة العثمانية في الجزائر.

ومن اجل صياغة الخطة اعتمدنا على مجموعة من المصادر نذكر منها: مذكرات خير الدين، ومذكرات النقيب احمد الشريف الزهار، حمدان بن عثمان المرأة، محمد بن ميمون الجزائري التحفة المرضية في الدولة البكداشية أما فيما يخص المصادر الأجنبية نذكر منها وليام شالر مذكرات كاثكارت مذكرات، سيمون بفايفر مذكرات، وليام سبنسر الجزائر في عهد رياس البحر ... "ديغو دي هايدوا طبوغرافيا الجزائر... الخ أما بالنسبة بعض المراجع فقد كان الاطلاع عليها ضروري لفهم بعض المفاهيم على سبيل المثال نذكر : ناصر الدين السعيدوني النظام المالي، أبو القاسم سعد الله التاريخ الجزائر الثقافي ...الخ

أما عن الصعوبات التي واجهتنا في هذه الدراسة نجد انه لا يوجد أي بحث علمي أو دراسة لا تخلوا من الصعوبات والعراقيل، ورغم ان البحث مادته العلمية متوفرة إلا ان الباحث في الأسباب والدوافع يجد عدة صعوبات من أهمها :

-نقص في مجال المعلوماتي الخاص بالأرشيفات والمصادر المحلية غيرها بالمكتبة الجامعية ولا في المكتبات الخاصة في المنطقة.

-بعد المسافة عن العاصمة التي بها فائض ما نحتاج حول موضوعنا والذي نأمل في معرفة الحقيقة التاريخية الوجود العثمانبي طيلة ثلاثة قرون من الزمن.

-صعوبة الترجمة في المصادر الأجنبية.

و في الأخير نشكر الله عز وجل ان يكون عملنا هذا مقبول لدى الطلبة والأساتذة ،و نسأله ان ينفع به من يحتاجه، فان أصبنا فمن الله وحده ،و ان أخطانا فمن أنفسنا والشيطان والله المستعان.

الملحق رقم (01) صورة لعروج

المصدر:عبد الحميد بن زيان اشنهو،دخول الاتراك العثمانين الى الجزائر المنطقة الشعبية للجيش الجزائر ،2009، ص129.

الملحق رقم (02) صورة لخير الدين

المصدر:عبد الحميد بن زيان اشنهو،المرجع السابق،ص130.

الملحق رقم (03)الجزائر العثمانية

المصدر:عبد الحميد بن زيان اشنهو،المرجع السابق،ص 151.

الملحق رقم (04) صورة متخيلة لسوق الرقيق بمدين الجزائر 1684.

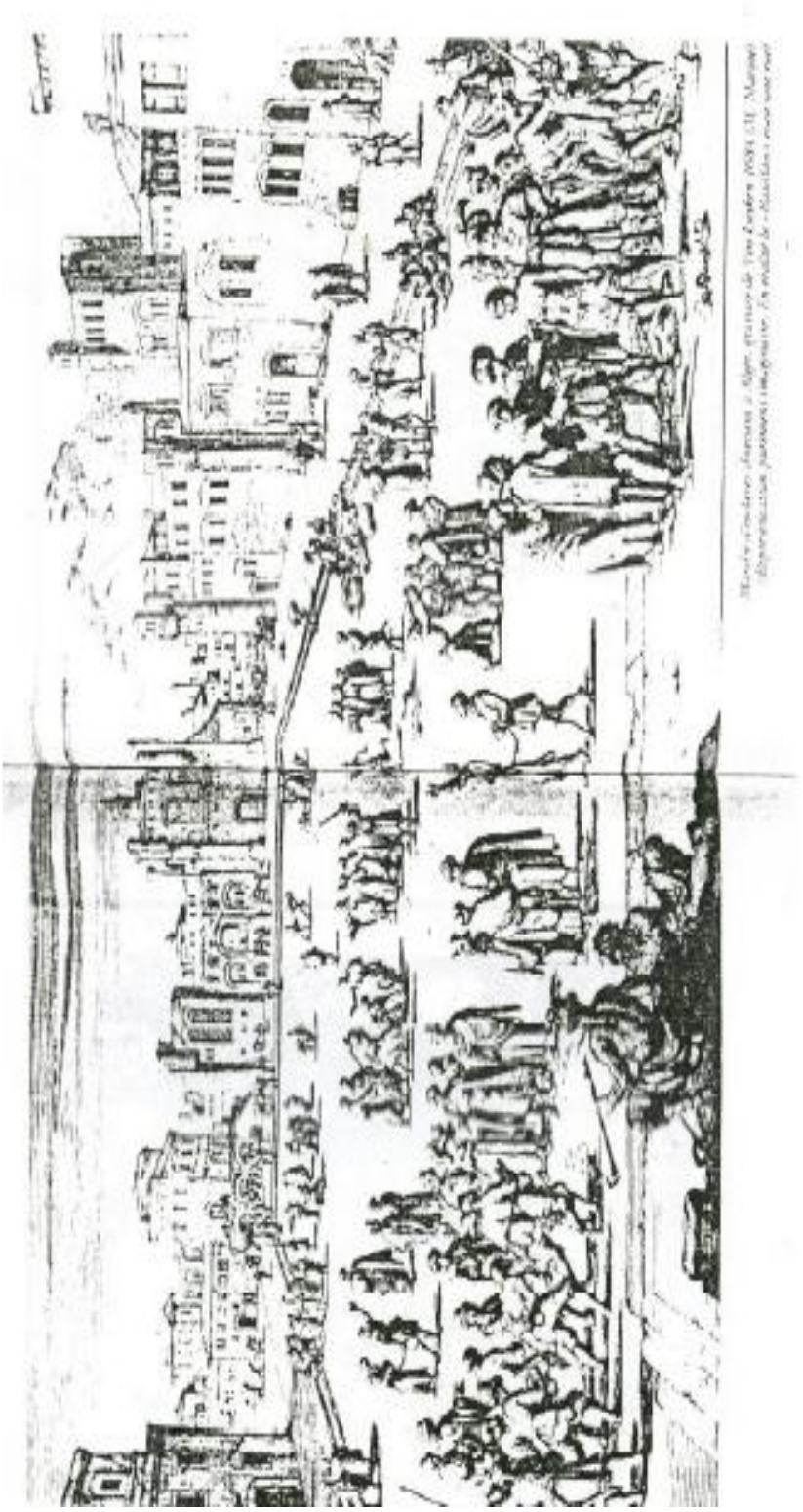

المصدر: pierre dane, op,cit, p 417

الملحق رقم (05) عقاب الاسرى في الجزائر

المصدر: pierre dane,OP,CIT,P 416.

الملحق رقم (06) العقوبات المطبقة على الاسرى المسيحين في الجزائر كما صورها الاب دان

المصدر: **pierre dane, op,cit, p 417**

الملحق رقم (07) نظرة الأب دان لوضعية الأسرى الأوروبيين في الجزائر

المصدر: pierre dane, op,cit, p 417

الملحق رقم (08) أسير مسيحيي في الجزائر مكبل بالسلاسل 1690م

المصدر: pierre dane,OP,CIT,P 418

الفصل الأول

نظرة المصادر المحلية للوجود العثماني

من (1512 – إلى 1792) م

مدخل

لمحة عن المصادر المحلية والأجنبية

الفصل الثاني

نظرة المصادر المحلية للوجود العثماني في الجزائر سنة (1792-1830)م

الفصل الثالث

نظرة المصادر الأجنبية للوجود العثماني في الجزائر

خاتمة

قائمة الملاحق

البيبلوغرافيا

الفهرس

مقدمة

قائمة المختصرات

جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الانسانية

شعبة: علوم إنسانية

الموضوع:

الوجود العثماني في الجزائر (1512- 1830)م
من خلال نظرة المصادر المحلية والاجنبية
دراسة تحليلية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبتين:

- فاطنة ماحي
- فاطمة قيبوب

إشراف الأستاذ:

- عبد الرحمان قفاف

السنة الجامعية 2015/2014

1 -المصادر المحلية:

– **أحمد بن محمد المقري التلمساني:** الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي العيش إبن محمد أبو العباس المقري التلمساني ولد سنة 1578م بتلمسان حفظ القرآن الكريم، وتلقى الكثير من المعارف التي كانت تزخر بها مدينة تلمسان، وكان عمه أبو عثمان سعيد المقري أول شيوخه، فلقنه التفسير والحديث، وقرأ عليه صحيح البخاري سبع مرات [1]، وبعد إستكمال دراسته توجه إلى فاس ثم رحل إلى مصر ثم الحجاز ثم فلسطين، كما زار دمشق ثم عاد إلى مصر وألف "نفخ الطيب من غض الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"، كما له عدة مؤلفات من بينها " روض الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيت من أعلام مراكش وفاس "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض" توفي سنة 1632م[2].لقد افادنا من خلال كتابه به نفح الطيب بما ذكره عن المكانة والمترلة التي يحظى بها العلماء في وقته بالجزائر.

– **عبد الكريم الفكون:** هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون أديب نحوي، محدث جمع بين علمي الظاهر والباطن كان عالم المغرب الأوسط في عصره ولد بقسنطينة عام 1580م[3] تعد حياته حافلة بالعلم والعمل، كانت أسرته تمتع بإحترام واسع في قسنطينة لتحالفها منذ البداية مع العثمانيين أصبحت أسرة الفكون تقود ركب الحجيج إلى الحرمين الشريفين، كان لها إمتيازات إقتصادية ومعنوية لا حصر لها خلد العديد من التآليف إبرزها منشور الهداية محدد

---

[1] -احمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب** ، تح حسان عباس تج 4،دار صادر بيروت 1998،ص11.

[2] – أبي القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج 2، تح: خير الدين شترة، دار كرادة، الجزائر، 2013، ص 545.

[3] -عادل نويهض، **معجم الاعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر** ،ط2،مؤسسة نوهض الثقافية،بيروت،1980،ص 253.

السنان في نحور إخوان الدخان، توفي في نفس المدينة سنة 1662م[1].لقد افادنا كتابه منشور الهداية في علاقة السلطة بالعلماء.

– **المنداسي أبو عثمان سعيد بن عبد الله التلمساني:** عاش بتلمسان في منتصف القرن السابع عشر ميلادي (17م) تعلم وأصبح له إطلاع وعرفة بعلوم عصره اللغوية والفقهية إضطر سعيد المنداسي إلى مغادرة تلمسان مسقط رأسه والتحول إلى المغرب مقيما به إلى أن وافته المنية سنة 1677م بإقليم تافيلالت[2].

– **محمد بن ميمون الجزائري:** هو أبو عبد الله بن محمد بن ميمون، الزواوي النجار الجزائري الدار،وهو حفيد أبي العباس أحمد بن عبد الله، الزواوي وهو شخصية معاصرة للداي محمد بكداش وصهره أوزن حسن، عرف بميله للتصوف وولعه بنظم الشعر عاصر فترة الدايات أواخر العصرالثالث حتى أواسط العصر الرابع من فترة حكم الأتراك للجزائر وألف كتاب "التحفة المرضية في الدولة البك داشية في بلاد الجزائر المحمية" توفي عام 1746م[3].قد فصل فيه كثير لحياة محمد بكداش فاتح مدينة وهران ومالاقه شهرة لدى المجتمع.

– **المشرفي عبد القادر:** هو عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن أحمد أبي جلال المشرفي المعسكري ولقب أيضا بإمام الراشدي وهو ولد العالم القاضي الطاهر المشرفي والمؤرخ للقرن 19م أبو الحامد العربي المشرفي المتوفي سنة 1895م.

شارك عبد القادر المشرفي في تحرير وهران الأول وشهد عودة الإحتلال الإسباني لوهران سنة 1632 م ترك عدة مصنفات منها رسالة محمد بن علي الخروبي إشتهر بتأليفه عن قبائل وهران

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي(1500–1830) م**،مج1-2،ط1،دار الغرب الاسلامي،1998، ص 519.

[2] – سعيد بن عبد الله المنداسي،**ديوان شعر**، تح: رابح بونار،شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1976،ص 5 ،6.

[3] – محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البك داشية في بلاد الجزائر المحمية**، تح: محمد بن عبد الكريم، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص 11.

وعلاقتها بالإسبان من خلال كتابه "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهران من الأعراب كبني عامر"، توفي يوم الخميس أكتوبر 1778م في معسكر[1].

– **الورثيلاني الحسين بن محمد السعيد** : ولد الوريثلاني في بني ورثلان في منطقة القبائل الصغرى من أسرة ماجدة عريقة يتصل بنسبها سلالة الأشراف ولقبه العائلي حسينين ولد يوم 6فيفري 1713م تلقى مبادئ الفقه واللغة على يد لأبيه وأشياخ موطنه اشتهر برحلته بعنوان نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الوريثلانية توفي عام 1779م[2].ويتناول فيه جهود العثمانيين في مجال التعمير وما تعلق بسطوهم على الأوقاف.

– **ابن رقية التلمساني محمد بن عبد الرحمان** : هو محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن الجيلالي بن رقية الجديري التلمساني عاش نهاية القرن 18م عرف التلمساني بتصنيفه المعنون "الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة عرف بعلمه الغزير وتخرج على يده الكثير من العلماء من بينهم أوراس الناصري توفي سنة 1780م[3].ومما جاء فيه الاحداث التي جرت منذ القرن 16 في الحملات الأوروبية وقدوم الاخوة بربروس ا إلى غاية محمد عثمان باشا وحديثه على انظمام الجزائر للدولة العثمانية.

– **ابن حمادوش عبد الرزاق بن محمد بن أحمد:** ولد بمدينة الجزائر سنة 1695م من أسرة متوسطة الحال تتلمذ على محمد بن ميهوب دأب حياته على القراءة وإشتهر في مجال أدب الرحلة والتاريخ برحلته المعروفة "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال والذي سجل فيه عرض له وما شاهده فترة4 سنوات من حياته حيث طاف ببعض البلدان العربية وهو في طريقه إلى الحج،

---

[1] – رقية شارف، **الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19**، دراسة تحليلية نقدية ، ط2، دار الملكية الجزائرية ،2007، ص 61،62.

[2] – محمد صالح الصديق، **أعلام من المغرب العربي**، ج 2، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص 606.

[3] – محمد ابن عبد الرحمان التلمساني ، **الزهرة النائرة لما جرى في الجزائر حين اغارت عليها جند الكفرة** ، مجلة التاريخ وحضارة المغرب العدد3، جويلية 1967، ص03.

تقلد بعض الوظائف الدينية في عصر الدايات توفي 1785م[1].مماجاء في كتابه سرد للأوضاع الجزائر في عهد الدايات بما انه عايش هذه الفترة.

– **ابن سحنون الراشدي:** هو أحمد بن محمد بن علي سحنون الشريف الراشدي ينتمي إلى أسرة اشتهرت بالعلم بني رشد منها والده قاضي معسكر الشيخ محمد بن علي سحنون وهو من مواليد النصف الثاني من القرن 18 نشأ بمعسكر وتتلمذ على الشيخ محمد بن عبد الله ، الجيلالي اشتهر بمؤلفة " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني وهذا التأليف أفادنا كثيرا عن الباي محمد الكبير وسياسته التي توجت بفتح وهران 1792 وتوفي سنة 1796م[2].

– **إبن هطال أحمد التلمساني:** هو أبو العباس الحاج بن محمد بن هطال التلمساني تولى الكتابة لدى الباي محمد الكبير باي الغرب وأصبح من مقربيه ومستشارا له، ولقد رافق بن هطال محمد الكبير في غزواته لعين ماضي والأغواط وحبل عمور سنة 1785م وظل في هذا المنصب عند تولي الباي مصطفى بن عبد الله العجمي بايلك الغرب 1800م وصاحبه في حركته ضد الشريف الدرقاوي وأتباعه فلقى حتفه مع العديد من رجال المحلة في معركة فرطاسة عام 1804م وعرف بمصنفه المعنون "رحله محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائري[3].

– **أبوراس الناصري:** هو محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد الناصري بن علي بن عبد الأديمي بن معروف بن عبد الله، الجليل المعسكري والمعروف بأبي راس ينتمي إلى أسرة إشتهرت بالعلم والصلاح ولد بجبل كرسوط وحونت بالغرب الجزائري في 27 ديسمبر 1753 أي بعد 20سنة من عودة الإسبان توفي في 27 أفريل 1823 عن عمر يناهز 73 سنة دفن

---

[1] – عبد الرزاق إبن حمادوش، **لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**، تح: أبو القاسم سعد الله ،عالم المعرفة، الجزائر 2011، ص 09 ، 10.

[2] – أحمد بن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني** ، تح :المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 229، 230.

[3] – أحمد بن هطال التلمساني، **رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى جنوب الجزائري** ، ط 1، مطبعة عالم الكتاب القاهرة، 1969، ص 13، 14.

بالقرب من مترله بن فوق قبره قبة سميت بالمذاهب الأربعة، الكثير من الكتب نذكر منها عجائب الأسفار ولطائف الأخبار درة الشقاوة في حروب درقاوة،فتح الآلة ومنه في التحدث بفضل ربي ونعمته[1].ومجاء في مؤلفه "عجائب الاسفار"أحوال الجزائرية في ظل الحكم العثماني خاصة في مجال الجهاد والعلماء.

– **مسلم بن عبد القادر الوهراني:** هو مسلم بن عبد القادر الحميري الوهراني كان في شبابه خوجة للآغاالمزاري أحد أغوات مخزن الترك بوهران ثم باش كاتب لدى الباي حسن آخر بايات وهران غادر وهران إلى عين تموشنت بعد الإحتلال الفرنسي لها وتوفي بها عام 1832م إشتهر كثيرا بالحكمة والأمثال من خلال كتابه "خاتمة الغريب والمسافر في الطريق والنوادر تاريخ بايات وهران المتأخرة" حيث تضمنت الخاتمة أحداث الغرب الجزائري لمدة 37 سنة الأخيرة من العهد العثماني إلى سنة 1832م[2].

– **حمدان بن عثمان خوجة:** هو سي حمد بن عثمان خوجة بن المولدين أي الكراغلة ولد بمدينة الجزائر سنة 1773 ينتمي لأسرة حضرية ذات ثروة وجاه عاصر الفترة الأخيرة من الوجود العثماني والسنوات الأولى للإحتلال وألف "المرآة" و"إتحاف المنصفين" توفي سنة 1845 عاش 72 سنة ودفن بمقبرة الصحابي الجليل أيوب الأنصاري[3].

– **أحمد الشريف الزهار:** ولد بمدينة الجزائر عام 1781م عاصر أواخر الحكم العثماني وبداية الإستعمار الفرنسي وعرف بعمله وسعة إطلاعه، قاوم الإستعمار الفرنسي بمصاحبة أحمد باي ثم الأمير عبد القادر، ثم عاد من المغرب الأقصى إلى الجزائر ليتسلم نقابة أشراف الجزائر،

---

[1] – محمد أبوراس الناصري، **فتح الآلة ومريدفي التحدث بفضل ربي ونعمته (حياة أبي راس الذاتية والعلمية)**، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة، الوطنية للكتاب، الجزائر 1990، ص 41، 42.

[2] – مسلم عبد القادر، **خاتمة أنيس الغريب والمسافر تاريخ بايات وهران المتأخرة** ، تح: رابح بونار، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 61.

[3] – رقية الشارف، المرجع السابق، ص 89.

معتكفا على الكتابة والتأليف جامعا مختلف أخبار الجزائر خلال العهد العثماني في مذكرات خاصة توفي 1872[1].

– **صالح بن محمد العنتري:** ولد بقسنطينة(1790و1800) م ينتمي إلى عائلة عريقة إشتهرت بالأشغال بوظائف الكتابة والمهام الإدارية تلقى العنتري تعليمه على أيدي شيوخ أجلاء، إشتغل مدة التدريس ثم تولي القضاء إشتهر صالح العنتري بكتابين هما "فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة" ومجاعات قسنطينة توفي عام 1876[2].

– **الحاج أحمد المبارك بن عمر بن أحمد بن محمد العطار القسنطيني:** ولد بقسنطينة 1790 م وقضى طفولته بميلة عند أعمامه بني العطار حيث درس الفقه والعربية بزاويتهم العائلية، ثم إنتقل إلى قسنطينة لتلقي العلم بها على بعض شيوخها المشهورين منهم الشيخ عمار الغربي، وعمار الميلي ومحمد العربي بن عيسى، إشتغل الحاج أحمد المبارك بالتجارة في شبابه وكان يتردد على تونس للتزود بالبضائع، وبعد أدائه فريضة الحج إستقر بقسنطينة وتولى التدريس بالجامع الأعظم، توفي في 05 أكتوبر 1870م وله مجموعة من المؤلفات منها تاريخ حاضرة قسنطينة حاشية على منظومة الشيخ عبد الرحمان الأخضري "الجوهر المكنون في الثلاثة فنون"[3].

– **بن عودة المزاري:** هو أبو إسماعيل إبن عودة بن الحاج محمد المزاري البحثاوي ينتسب إلى أسرة تولت الوظائف ببايلك الغرب، كان أبوه محمد المزاري وعم أبيه مصطفى بن إسماعيل قد توليا منصب وظيفة الآغا عند الأمير عبد القادر أولا ثم عند الفرنسيين بعد إنضم إليهم في ديسمبر

[1] – أحمد الشريف الزهار، **مذكرات نقيب الإشراف** ، تر: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1970، ص 09 ،10.

[2] – محمد صالح العنتري، **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة وإستلائهم على أوطانهم أو تاريخ قسنطينة** ، تر: يحي بوعزيز، ط 2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 4، 5.

[3] – أبي القاسم محمد الحفناوي ، المصدر السابق، ص 326، 327.

1835م ألف "طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا أواخر القرن 19م"، توفي عام 1897م[1].و جاء فيه سياسة الحكام العثمانيين تجاه الجزائر.

– **محمد الزياني بن يوسف البرجي** : ينتسب إلى برج عياش بناحية معسكر إلى أسرة علم إشتهر منها عمه العالم أحمد بن يوسف الذي كان على صلة بالباي إبراهيم المليانى تولى منصب القضاء، ثم إنتقلت إلى وادي تليلات سنة 1883م من أهم تأليفه دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، توفي عام 1902م[2].مما تناول في هذا الكتاب الظروف التي عاشتها مدينة وهران أواخر الحكم العثماني.

– **الحاج أحمد باي**: ولد حوالي 1786م كان يسمى بإسم أمه فيقال الحاج أحمد بن الحاجة شريفة، وهي من أسرة إبن الشريف بن قانة المعروفة في الصحراء، أبوه هو محمد الشريف خليفة حسن باي نشأ أحمد في بيت أخواله، فكان رجلا حاسما وشجاعا هذه الصفات جعلت الإيالة تعينه وهو لم يتجاوز الثلاثين، خليفة لباي قسنطينة وتمكن من البقاء فيه 22 سنة على الرغم من المشاكل والمحن[3].لقد عرض من خلال مذكراته أوضاع الجزائر قبيل واثناء الغزو الفرنسي.

– **الأميرمحمد بن عبد القادر**: هو الإمام بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختارين بن عبد القادر ولد في القيطنة بالقرب من مدينة معسكر بالغرب الجزائري إشتهر الأمير بكتابه "تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر"،مما افادنا في نظرته الى العثمانين في الجزائر خاصة في مجال الجهاد توفي سنة 1913م[4].

---

[1] – بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا أواخر القرن 19م**، تر: يحي بوعزيز، ج 1، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 13.

[2] – محمد بن يوسف الزياني ، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تر: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص10 .

[3] – العربي الزبيري، **مذكرات أحمد باي، وحمدان خوجة وبوضربة** شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973، ص ص 5، 7.

[4] – الأمير محمد، **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر** ، ط 2، تر: ممدوح حقي، دار النهضة العربية، بيروت، 1964، ص 4.

2 – المصادر الأجنبية:

يتميز تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية،بتنوع المصادر فضلاعن غزارتها وهي ذات جنسيات مختلفة منه الإيطالية والاسبانية والفرنسية والامريكية الخ.... وهي عبارة عن رحلات أو تقارير أو مذكرات الفت من طرف قناصل أو رحلين أو جواسيس أو رهبان تعرفو على المنطقة وهذه المصادر من الضخامة بحيث تتجاوز طاقة مجهودات الباحث الواحد لذا انتقينا نماذج منها ويعود اختيارنا لهذه المصادر دون غيرها لاسباب التالية :قيمتهاالإخبارية،اعتمادها من طرف جل المؤرخين،الأيديولوجية الخفية التي تضمنتها هذه المصادر نذكر منها:

– **ديغودي هايدو(diego de haédo)**:وهو راهب بنديكتيني كان سجينا بالجزائر خلال 1581/1578، كانت أهم أعماله ذات القيمة العلمية الراقية إذ قدمها باللغة الإسبانية تحت الرعاية الدينية الكاثوليكية ، عام 1608م وترجمت إلى الفرنسية بعنوان " topographie et histoire général d'alger "تناولت خمسة محاور المحور الأول حول ديموغرافية الجزائر " topographie d'alger والثاني تناول حكام الجزائر ملوك الجزائر" l'epitomés des rois d'alger" والثالث حول الأسر" la captivité"، والرابع حول الشهداء "les martyres"والخامس حول المرابطين les marabouts" .

– **الأب دان(le pierre dan)**: كان من كبار جماعة الثالوث المقدس، وفي فداء الأرقاء عاش في الجزائر جزء من عشرية (1630-1640)م وأهم ما كتبه: التاريخ بلاد البربر وقراصنتها"histoie de barbarie et de ses corsaire" يعتبر هذا الكتاب عمدة لهذا العهد[1] .

– **لو جي دي تاسي (laugier de tassy)**:كان مسؤلا في القنصلية الفرنسية عام 1724م كتب تاريخ مملكة الجزائر " histoire de royoumrd'alger " حيث يذكر في مقدمة

[1] – جون وولف، **الجزائر واوروبا وحياة الامير عبد القادر**، تر:أبو القاسم سعد الله، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 1986، ص 462.

كتابه أن هدفه الأساسي من تاليف كتابه هو إعطاء نظرة جديدة عن الجزائر أي تصحيح النظرة القديمة وهو ما عبر عنه بما يلي: « ستغمرني سعادة كبرى إذا إستطاع كتابي أ ن يقدم نفعا للدول الأوروبية المتعاملة مع الجزائر وإذا نجح في القضاء على الإدعاء غير العادل الناتج عن تعصب مبالغ فيه ضد كل من هو تركي »[1].

– **جوزيف مورقان (joseph morgan)**: عاش سنوات طويلة في الجزائر وتولى بعض المهام في قنصلية بلاده الجزائر في عهد القنصل البريطاني روبيركول "cole" الذي أقام في مدينة الجزائر أكثر من أربعين سنة طبع مورقان كتابه " acompleat histoire of the piratacal states of barbaylondon 1731" وهو في مجلد في تاريخ شمال إفريقيا عامة من أقدم العصور إلى بداية القرن 16م والمجلد الثاني في تاريخ الجزائر خاصة من بداية العهد العثماني حتى زمن طبع الكتاب سنة 1731م وكان جوزيف مورقان على إطلاع كبير بأحوال الجزائر وعادات سكانها وتقاليدهم الإسلامية وكان يتصل بالمرابطين ويستمع إلى أقوالهم ويتعرف على علاقاتهم بالسكان وله كتاب عن الإسلام فيسمى التعريف بالإسلام[2].

– **شاو (show)**: هو رحالة إنجليزي(1792-1751)م زار سوريا ومصر وبلاد المغرب ودامت إقامته بمدينة الجزائر 12 سنة 1720–1732 [3]، كان كاهنا بالوكالة الإنجليزية في الجزائر شاو أن يقدم عملا نادرا بعنوان جولات في ولايات متعددة ببلاد البربر والشرق ،في جزئيين

[1] – عائشة غطاس، **نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني**، مجلة الدراسات التاريخة، معهد التاريخ جامعة الجزائر، العدد 05، 1988، ص 120.

[2] – أبو القاسم سعد الله ، **مدينة الجزائر في كتاب إنجيليز قديم** ، مجلة الأصالة ،العدد 08، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر، 1972 ، ص ص 27، 30.

[3] - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 126.

تضمن أوصافا دقيقة ،وتفاصيل عن بلاد الجزائر وخلال القرن 18م رسم خريطة وضح عليها معالم جغرافية وحدد بها حدود إيالة الجزائر وخاصة حدود بايلك الشرق الجزائري[1] .

– **فونتير دي بارادي (venture de baradis)**: وهو فرنسي (1739 –1799)م كانت له دراية كبيرة بقضايا المشرق والمغرب نظرا لطول إقامته بالدولة العثمانية حيث قضي مدة عشرين سنة إشتغل أثناءها وفي 1788م كلف من طرف وزير البحرية دوكستري بتسوية خلاف نشب بين الجزائر وفرنسا إستغرقت إقامته عامين ،مما سمح له بالتعرف على أحوال البلاد فكتب كتابه الذي يعتبر من أهم مصادر الجزائر خلال القرن 18م[2].

– **كاثكارت (cathacaret)**: أسير الداي وهو أمريكي وقع في أسر الجزائرين عام 1785م ضمن السفينة الأمريكية نقله، وإختبر مع أربعة من رفاقه للخدمة في قصر الداي في سنة 1796م عاد كاتكارت إلى الولايات المتحدة الأمريكية يحمل رسائل تتعلق بصياغة بنود معاهدة للسلام مع الجزائر[3].

– **تيدنا (thédnat)**: ولد تيدنا في يوزيسلا من غدوك من عائلة كاثولكية منذ أيام صباه عملت أسرته على أن يكون من عليه رجال الدين فوضعته في مدرسة كاثوليكية لكنه فر منها، إنظم ليلتقي الحماية العسكرية في كورسيكا سئم العمل فضل العمل المدني الاداري في وظيفة كاتب لوكيل مقاطعة ومارس نقل براميل الخمر من مالاقا إلى مارسيليا على متن سفينة إسبانية وهي إلى قبضة قرصان البحر التابعين للداي الجزائر على متنها، إشتراه باي معسكر الذي كان يحتاج إلى شخص مثقف ومخلص لإدارة مترله وعلى هذا الأساس تعتبر مذكراته مصدرا هاما وفريدا من نوعه وسماها: Mémoire de thédnat،en écritesazurich 1985 [4]

---

[1] – عمیراوي أحمیدة، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر لخلال العهد العثماني مذكرات تيدنا نموذجا** ، دار الهدى، الجزائر 2009، ص09،10.

[2] – عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 126.

[3] – إسماعيل العربي، **مذكرات أسير الداي كاتكارت**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، 1990 ،ص08.

[4] – عميراوي حميدة، المرجع السابق، ص 24.

– **وليام شالر** (**willaim shaller**): قنصل أمريكا في الجزائر ما بين (1816-1824)م وعاش فيها عنصر مهم وهو سياسة الجزائر في الداخل والخارج[1].

– **سيمون بفايفر(simon bifiever)** : ولد بمنطقة رانهيسن بألماني 1810م وقع أسيرا لدى الجزائريين مدة 05 سنوات سنة 1825م إلى غاية يوم 16 سبتمبر 1830م، مارس مهنة الطبخ في بيتالخزناجي بالجزائر كانت مهنته الحقيقية الطب عاد إلى ألمانيا وكتب ونشر مذكراته عام 1832م مذكراته بعنوان رحلاتي وسنوات أسري الخمس في الجزائر"، وتعتبر مذكراته مصدرا هاما في تاريخ الجزائر أواخر العهد العثماني بها وبداية الإحتلال الفرنسي لها[2].

– **شونبيرغ (schoenberg)**: وهو من أشهر أطباء القرن 19م وهو ينتمي إلى أسرة نبيلة موزعة بين ألماني والدنمارك وقد ولد يورغن يوهان النريخت فون شونبيرغ في 27 سبتمبر 1782م بجزيرة بالدنمارك درس في جامعة غوتينغن بألمانيا وتخرج منها طبيبا عام 1808م، شارك ضمن الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م عاد إلى بلاد م1832 وألف كتاب تحت عنوان نظرات على الإحتلال الأخير والتاريخ الحديث للجزائر وإستعمارها[3].

– **وليام سنبسر**(**william spencer**): أستاذ التاريخ الحديث في جامعة فلوريد الولايات المتحدة الامريكية ألف كتابه في عهد رياس البحر معتمدا في مؤلفاته على مجموعة من الوثائق الإيطالية والإسبانية والفرنسية والإنجليزية والعثمانية[4].

– **غراماي جون باتيست (gramay jean Baptiste)**: تلقى تعليمه في مدرسة "faucon" ثم انتقل الى جامعة "loivain" ومنها تحصل على شهادة لسانس في الفلسفة والحقوق

---

[1] – وليام شالر، **مذكرات وليام شالر**، تر :إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص ص 05، 08.

[2] –سمون بفايفر ، **مذكرات ولمحة تاريخية عن الجزائر** ، تر :ابو العيد دودو شركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1974 ،ص01.

[3] – أبو العيد دودو، **الجزائر في مؤلفات الرحالين 1830–1855**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 29.

[4] – وليام سنبسر، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تر: عبد القدر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1980، ص 5،6.

واسر من طرف قراصنة الجزائر 1619 ومكث في هذه المدينة حوالي ستة اشهر كان يكتب بالاتينية واشهر المؤلفات حول الجزائر دراسة جو تاريخية ترجمة هذه الدراسة من طرف الباحث عبد الهادي بن منصوروطبع سنة 1998م تحت عنوان alger 16eme17 eme siècle jean baptiste gramaye evèqui d'algrique

ويظهر هذا الكتاب ماساة الاسرى المسحيين في الجزائر واثار الشعور المسيحي ضد المسلمين[1] .

[1] - abed hadi ben mansou, **alger 16eme17eme siècle jean baptiste gramaye**, evèqui d'afrique ،les edition du cerf، paris ،1998 ،p 11.